وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون مكية
وآياتها ثماني عشرة ومائة
بِسمِ اللهِ الرحمَن الرّحِيمِ

الآية : 1 - 3

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مّعْرِضُونَ }.

قال أبو جعفر: يعني جلّ ثناؤه بقوله: قَدْ أفلَحَ المُؤْمِنُونَ: قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم, وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله, وعملوا بما دعاهم إليه مما سمي في هذه الأيات, الخلودَ في جنّات ربهم وفازوا بطَلِبتهم لديه. كما:

19228- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ قال: قال كعب: لم يخلق الله بيده إلاّ ثلاثة: خلق آدم بيده, وكتب التوراة بيده, وغرس جنة عَدْن بيده, ثم قال لها: تكلمي فقالت: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ لما علمت فيها من الكرامة.

19229- حدثنا سهل بن موسى الرازيّ, قال: حدثنا يحيى بن الضريس, عن عمرو بن أبي قيس, عن عبد العزيز بن رفيع, عن مجاهد, قال: لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة, نظر إليها فقال: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ.

19230- قال: ثنا حفص بن عمر, عن أبي خلدة, عن أبي العالية, قال: لما خلق الله الجنة قال: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ فأنزل الله به قرآنا.

19231- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جبير, عن عطاء, عن ميسرة, قال: لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده, وكتب الألواح بيده, والتوراة بيده, وغرس عدْنا بيده, ثم قال: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ.

وقوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته, وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل: إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها, فنُهُوا بهذه الآية عن ذلك. ذكر الرواية بذلك:

19232- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت خالدا, عن محمد بن سيرين, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى نظر إلى السماء, فأنزلت هذه الآية: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ قال: فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد.

19233- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن أبي جعفر, عن الحجاج الصوّاف, عن ابن سيرين, قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء حتى نزلت: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ فقالوا بعد ذلك برؤوسهم هكذا.

19234- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن محمد, قال: «نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء, فنزلت آية إن لم تكن الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشعُونَ فلا أدري أية آية هي قال: فطأطأ». قال: وقال محمد: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصْره مصلّاه, فإن كان قد استعاد رالنظر فليغْمِض.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, عن ابن عون, عن محمد نحوه.

واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع, فقال بعضهم: عني به سكون الأطراف في الصلاة. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19235- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: السكون فيها.

19236- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: سكون المرء في صلاته.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, مثله.

19237- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن الثوريّ, عن أبي سفيان الشيباني, عن رجل, عن عليّ, قال: سئل عن قوله: الّذِينَ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: لا تلتفت في صلاتك.

19238- حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرمليّ, قال: قال ضَمْرة بن ربيعة, عن أبي شَوْذب, عن الحسن, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: كان خشوعهم في قلوبهم, فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجَناح.

19239- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا معمر, عن إبراهيم, في قوله: خاشِعُونَ قال: الخشوع في القلب, وقال: ساكنون.

قال: حدثنا الحسن, قال: ثني خالد بن عبد الله, عن المسعوديّ, عن أبي سنان, عن رجل من قومه, عن عليّ رضي الله عنه, قال: الخشوع في القلب, وأن تُلِين للمرء المسلم كَنَفك, ولا تلتفت.

19240- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جرَيج, قال: قال عطاء بن أبي رباح, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: التخشع في الصلاة. وقال لي غير عطاء: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووُجاهه, حتى نزلت: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ فما رُؤي بعد ذلك ينظر إلاّ إلى الأرض.

وقال آخرون: عني به الخوف في هذا الموضع. ذكر من قال ذلك:

19241- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: خائفون.

19242- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ قال الحسن: خائفون. وقال قتادة: الخشوع في القلب.

19243- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ حاشِعُونَ يقول: خائفون ساكنون.

وقد بيّنا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلك كذلك, ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر, كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذ كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام ما وصفت مِنْ قَبْلُ من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللّون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته, وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

وقوله: وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19244- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول: الباطل.

19245- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: عَنِ اللّغْوِ مُعْرِضُونَ قال: عن المعاصي.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الحسن, مثله.

19246- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغو مُعْرِضُونَ قال: النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته, ممن آمن به واتبعه وصدقه, كانوا عن اللغْوِ معرضين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 4 - 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ هُمْ لِلزّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إلاّ عَلَىَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىَ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }.

يقول تعالى ذكره:والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون, وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهموها. وقوله: وَالّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاّ عَلى أزْوَاجِهِمْ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم. وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال, وذلك أقبالهم. حَافِظُونَ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. إلاّ عَلى أزْوَاجِهِمْ يقول: إلاّ من أزواجهم اللاتي أحلهنّ الله للرجال بالنكاح. أوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ يعني بذلك: إماءهم. و «ما» التي في قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ في محلّ خفض عطفا على الأزواج. فإنّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه, وحفظه عن غيره من الخلق, فإنه غير مُوَبّخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19247- حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاّ عَلى أزْوَاجِهِم أَوْ ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ فإنّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم.

وقوله: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحا سوى زوجته وملك يمينه, فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ يقول: فهم العادون حدود الله, المجاوزون ما أحلّ الله لهم إلى ما حرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19248- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: نهاهم الله نهيا شديدا, فقال: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ فسمى الزاني من العادين.

19249- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ قال: الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام.

19250- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن أبي عبد الرحمن, في قوله: فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ قال: من زنى فهو عادٍ.

الآية : 8 - 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ هُمْ لأمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ التي ائتمنوا عليها وعهدهم, وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعُونَ يقول: حافظون لا يضيعون, ولكنهم يوفون بذلك كله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار إلا ابن كثير: وَالّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ على الجمع. وقرأ ذلك ابن كثير: «لأَمانَتِهِم» على الواحدة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: لأَماناتِهِمْ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: وَالّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون, فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم, ولكنهم يراعونها حتى يؤدّوها فيها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19251- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق: وَالّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: على وقتها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق: وَالّذينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافظُونَ على ميقاتها.

19252- حدثنا ابن عبد الرحمن البرقيّ, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا يحيى بن أيوب, قال: أخبرنا ابن زَحْر, عن الأعمش, عن مسلم بن صبيح, قال: الّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: إقام الصلاة لوقتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: على صلواتهم دائمون. ذكر من قال ذلك:

19253- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم: عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ قال: دائمون. قال: يعني بها المكتوبة.

وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا, هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, رُوي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتأوّله أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك:

19254- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاّ وَلَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنّةِ, ومَنْزِلٌ فِي النّارِ, وَإنْ ماتَ وَدَخَلَ النّارِ وَرِثَ أهْلُ الجَنّةِ مَنْزِلَهُ» فذلك قوله: أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ.

19255- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: حدثنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, في قوله: أولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم التي أعدّت لهم لو أطاعوا الله.

حدثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الأعمش, عن أبي هريرة: أولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم الذين أعدّت لهم لو أطاعوا الله.

19256- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: الوارثون الجنة أورثتموها, والجنة التي نورث من عبادنا, هن سواء. قال ابن جريج: قال مجاهد: يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره, ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار, فلهم منزلان في الجنة وأهلان. وذلك أنه منزل في الجنة ومنزل في النار, فأما المؤمن فَيْبِنى منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار, وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبنى منزله الذي في النار. قال ابن جُرَيج عن ليث بن أبي سليم, عن مجاهد, أنه قال مثل ذلك.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

يقول تعالى ذكره: الّذِينَ يَرِثُونَ البستان ذا الكَرْم, وهو الفِرْدَوْسُ عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية.

19257- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: الّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ قال: الفردوس: بستان بالرومية.

19258- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده, تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ, قال: هي الفردوس أيضا تلك الحديقة, قال مجاهد: غرسها الله بيده فلما بلغت قال: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ثم أمر بها تغلق, فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرّب, ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنونَ ثم تغلق إلى مثلها.

19259- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: قتل حارثة بن سُراقة يوم بدر, فقالت أمه: يا رسول الله, إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه, وإن كان من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أهل النار بالغت في البكاء. قال: «يا أُمّ حارِثَةَ, إنّها جَنّتانِ فِي جَنّةٍ, وَإنّ ابْنَكِ قَدْ أصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى مِنَ الجَنّةِ».

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19260- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة, عن كعب, قال: خلق الله بيده جنة الفردوس, غرسها بيده, ثم قال: تكلمي قالت: قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ.

19261- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن حُسام بن مِصَكّ, عن قَتادة أيضا, مثله, غير أنه قال: تكلمي, قالت: طوبى للمتّقين.

19262- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي داود نفيع, قال: لما خلقها الله, قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها: تكلمي فقالت: طوبى لمن رضيت عنه.

وقوله: هُمْ فِيها خالِدُونَ يعني ماكثون فيها, يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون, يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحوّلون عنها.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ أسللناه منه, فالسلالة هي المستلة من كلّ تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنيّ بالإنسان في هذا الموضع, فقال بعضهم: عني به آدم. ذكر من قال ذلك:

19263- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مِنْ طِينٍ قال: استلّ آدم من الطين.

19264- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ قال: استلّ آدم من طين, وخُلقت ذرّيته من ماء مهين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم, وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع, من سلالة, وهي النطفة التي استُلّت من ظهر الفحل من طين, وهو آدم الذي خُلق من طين. ذكر من قال ذلك:

19265- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن أبي يحيى, عن ابن عباس: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ قال: صفوة الماء.

19266- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مِنْ سُلالَةٍ من منيّ آدم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم, وهي صفة مائة وآدم هو الطين, لأنه خُلق منه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لدلالة قوله: ثُمّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ على أن ذلك كذلك لأنه معلوم أنه لم يَصِرْ في قرار مكين إلاّ بعد خلقه في صلب الفحل, ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته, لأنهما مسلولان منه ومن السّلالة قول بعضهم:

حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَر اسُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إلاّ مُهْرَةً عَرَبِيّةً سُلالَةَ أفْرَاسٍ تَجَلّلَها بَغْلُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فمن قال: سلالة جمعها سلالات, وربما جمعوها سلائل, وليس بالكثير, لأن السلائل جمع للسليل ومنه قول بعضهم:

إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَ تْعَلى القَوْدِ إلاّ بالأُنُوفِ سَلائلُهْ

وقول الراجز:

يَقْذِفْنَ فِي أسْلابِها بالسّلائِل

الآية : 13 -14

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ * ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ثُمّ جَعَلْناهُ نطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين, نطفة في قرار مكين, وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة. ووصفه بأنه مكين, لأنه مُكّن لذلك وهيىء له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا. وقوله: ثُمّ خَلَقْنا النطْفَةَ عَلَقَةً يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة, وهي القطعة من الدم. فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً يقول: فَجعلنا ذلك الدم مضغة, وهي القطعة من اللحم. وقوله: فخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاما يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم: فخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاما على الجماع, وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: «عَظْما» فِي الحرفين على التوحيد جميعا.

والقراءة التي نختار في ذلك الجماع, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْما يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «ثُمّ خَلَقْنا النطْفَةَ عَظْما وعصبا فَكَسَوْنَاه لَحْما». وقوله: ثُمّ أنْشأْناهُ خَلْقا آخَرَ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: أنْشَأْناهُ عائدة على «الإنسان» في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة, جعل ذلك كله كالشيء الواحد, فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ فقال بعضهم: إنشاؤه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه, فيصير حينئذٍ إنسانا, وكان قبل ذلك صورة. ذكر من قال ذلك:

19267- حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء, عن ابن عباس في قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ الروح فيه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا هشيم عن الحجاج بن أرطأة عن عطاء, عن ابن عباس, بمثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: الروح.

19268- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة, في قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ الروح فيه.

19269- حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سلمة, عن داود بن أبي هند, عن الشعبيّ: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح.

19270- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, بمثله.

19271- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, في قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح, فهو الخلق الآخر الذي ذكر.

19272- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19273- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: الروح الذي جعله فيه.

وقال آخرون: إنشاؤه خلقا آخر تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة: في الطفولة, والكهولة, والاغتذاء, ونبات الشعر, والسنّ, ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

19274- حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ يقول: خرج من بطن أمه بعدما خلق, فكان من بدء خلقه الآخر أن استهلّ, ثم كان من خلقه دُلّ على ثدي أمه, ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه, إلى أن قعد, إلى أن حبا, إلى أن قام على رجليه, إلى أن مشى, إلى أن قُطِم, فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام, إلى أن بلغ الحلم, إلى أن بلغ أن يتقلّب في البلاد.

19275- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: يقول بعضهم: هو نبات الشعر, وبعضهم يقول: هو نفخ الروح.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر عن قَتادة, مثله.

19276- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره.

وقال آخرون: بل عَنَى بإنشائه خلقا آخر: سوّى شبابه. ذكر من قال ذلك:

19277- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ثُمّ أنْشَأْناهُ خَلْقا آخَرَ قال: حين استوى شبابه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد: حين استوى به الشباب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحوّل خلقا آخر إنسانا, وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها, من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه, يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية, كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين. ذكر من قال ذلك:

19278- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد: فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ قال: يصنعون ويصنع الله, والله خير الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ لأن عيسى ابن مريم كان يخلق, فأخبر جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق. ذكر من قال ذلك:

19279- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, في قوله: فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ قال: عيسى ابن مريم يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد, لأن العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمّ لا يَفْرِي

ويروى:

وَلأَنْتَ تَخْلُقُ ما فَرَيْتَ وَبَعْضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمّ لا يَفْرِي

الآية : 15 -16

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ إنّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيّتُونَ * ثُمّ إنّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ }.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخل وتصييرناكم إنسانا سويّا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم, ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأناكم أوّل مرّة. وإنما قيل: ثُمّ إنّكُمْ بَعْدَ ذلكَ لَمَيّتُونَ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل, ولا يقولون لمن قد مات مائت, وكذلك هو طَمِع فيما عندك إذا وصف بالطمع, فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا, وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهنّ فوق بعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق, لأن بعضهنّ فوق بعض, فكل سماء منهنّ طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19280- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ قال: الطرائق: السموات.

وقوله: وَما كُنّا عَنِ الخَلْقِ غافِلِينَ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذي تحتها غافلين, بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الأرْضِ وَإِنّا عَلَىَ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء, فأسكناه فيها. كما:

19281- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وأنْزَلْنا مِنَ السّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأسْكَنّاهُ فِي الأرْضِ ماء هو من السماء.

وقوله: وَإنّا على ذهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ يقول جلّ ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أرضوكم, فلا تنبت زرعا ولا غرسا, وتهلك مواشيكم, يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنّاتٍ مّن نّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء, بساتين من نخيل وأعناب لَكُمْ فِيهَا يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة. وَمِنْها تَأْكُلُونَ يقول: ومن الفواكه تأكلون. وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات, ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصّ جلّ ثناؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع, فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الأرض لأن هذين النوعين من الثماء كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها, فكانت النخيل لأهل المدينة, والأعناب لأهل الطائف, فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم, بما أنعم به عليهم من ثمارها.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدّهْنِ وَصِبْغٍ لّلآكِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء و «شجرة» منصوبة عطفا على «الجنات», ويعني بها: شجرة الزيتون.

وقوله: تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ يقول: تخرج من جبل يُنْبِت الأشجار.

وقد بيّنت معنى الطور فيما مضى بشواهده, واختلاف المختلفين, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما قوله: سَيْناءَ فإن القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «سِيناءَ» بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: سَيْناءَ بفتح السين, وهما جميعا مجمعون على مدّها.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان في قَرَأَة الأمصار بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: المبارك, كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك. ذكر من قال ذلك:

19282- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: المبارك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19283- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل بالشام مبارك.

وقال آخرون: معناه: حسن. ذكر من قال ذلك:

19284- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل حسن.

19285- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ طُورِ سَيْناءَ الطور: الجبل بالنبطية, وسيناء: حسنة بالنبطية.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف. ذكر من قال ذلك:

19286- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخُراسانيّ, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ طُورِ سَيْناءَ قال: الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم.

19287- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: طُورِ سَيْناءَ قال: هو جبل الطور الذي بالشام, جبل ببيت المقدس, قال: ممدود, هو بين مصر وبين آيَلَة.

وقال آخرون: معناه: أنه جبل ذو شجر. ذكر من قال ذلك:

19288- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عمن قاله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به, كما قيل جبلاً طيّىء, فأضيفا إلى طيىء, ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك, أو كما قال من قال معناه حسن, لكان «الطور» منوّنا, وكان قوله «سيناء» من نعته. على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن, غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل, ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس, من أنه جبل عرف بذلك, وأنه الجبل الذي نُودي منه موسى صلى الله عليه وسلم, وهو مع ذلك مبارك, لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

وقوله: تَنْبُتُ بالدّهْنِ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: تَنْبُتُ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: تَنْبُتُ بفتح التاء, بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن, وقرأه بعض قرّاء البصرة: «تُنْبِتُ» بضم التاء, بمعنى: تنبت الدهن: تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: «تُخْرِجُ الدّهْنَ» وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة, كما قيل: أخذت ثوبه وأخذته بثوبه وكما قال الراجز:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أرْبابُ الفَلَجْنَضْرِبُ بالْبِيضِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت, وأنبت ومن أنبت قول زهير:

رأيْتَ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْقَطِينا لَهُمْ حتى إذَا أنْبَتَ البَقْلُ

ويروى: «نبت», وهو كقوله: فأَسْرِ بأهْلِكَ و «فاسْرِ». غير أن ذلك وإن كان كذلك, فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: تَنْبُتُ بفتح التاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليها. ومعنى ذلك: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن. كما:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19289- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تَنْبُتُ بالدّهْنِ قال: بثمره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

والدهن الذي هو من ثمره الزيت, كما:

19290- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: تَنْبُتُ بالدّهْنِ يقول: هو الزيت يؤكل ويُدّهن به.

وقوله: وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين, يُصْطَبَغ بالزيت الذين يأكلونه. كما:

19291- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين, يأتدمون به ويصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصبغ عطف على الدهن.

الآية : 21 -22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً نّسْقِيكُمْ مّمّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَإنّ لَكُمْ أيها الناس فِي الأنْعامِ لَعِبْرَةً تعتبرون بها, فتعرفون بها أياديَ الله عندكم وقدرته على ما يشاء, وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يُعْجِزه شيء شاءه. نُسْقيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وَلَكُمْ مع ذلك فِيها يعني في الأنعام, مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وذلك كالإبل التي يحمل عليها ويُركب ظهرها ويُشرب دَرّها. وَمِنْها تأْكُلونَ يعني من لحومها تأكوله. وقوله: وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ يقول: وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون, على هذه في البرّ وعلى هذه في البحر.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ أرْسَلْنا نُوحا إلى قَوْمِهِ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كلّ معبود سوانا.فَقالَ لهم نوح: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة. ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره. أفَلا تَتّقُونَ يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحلّ بكم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـَذَا إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لأنزَلَ مَلاَئِكَةً مّا سَمِعْنَا بِهَـَذَا فِيَ آبَآئِنَا الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشراف قوم نوح, الذين جحدوا توحيد الله وكذّبوه, لقومهم: ما نوح أيها القوم إلاّ بشر مثلكم, إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم, يُرِيدُ أنْ يَتَفَضّلَ عَلَيْكُمْ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم, فيكون متبوعا وأنتم له تبع. وَلَوْ شاءَ اللّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئا سواه لأنزل ملائكة, يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ما سَمِعْنا بِهَذَا الذي يدعونا إليه نوح من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية, وهي آباؤهم الأوّلون.

الآية : 25 -27

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ فَتَرَبّصُواْ بِهِ حَتّىَ حِينٍ * قَالَ رَبّ انصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التّنّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُواْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ }.

يعني ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ: ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضا للجنّ جنة, فيتفق الاسم والمصدر, و«هو» من قوله: إن هو كناية اسم نوح. وقوله: فَتَرَبّصُوا بِهِ حتى حِينٍ يقول: فتلبثوا به, وتنظروا به حتى حين يقول: إلى وقت ما. ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما, إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم مّا, أو إلى وقت مّا.

وقوله: قالَ رَبّ انْصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ يقول: قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه, لما طال أمره وأمرهم وتمادَوا في غيهم: رَبّ انْصُرْنِي عَلَى قَوْمِي بِما كَذّبُونِ يعني بتكذيبهم إياي, فيما بلّغتهم من رسالتك ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: فأَوْحَيْنا إلَيْهِ أنه اصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنا وَوَحْينا يقول: فقلنا له حين استنصرَنا على كَفَرة قومه: اصنع الفُلْك, وهي السفينة بأَعْيُنِنا يقول: بمرأى ومنظر, ووَحْيِنَا يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها. فإذَا جاء أمْرُنا يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك, بعذابهم وهلاكهم وَفارَ التّنّورُ, وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور, والصواب عندنا من القول فيه بشواهده, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فاسْلُكْ فِيها مِنْ كلَ زَوْجِيْنِ اثْنَيْنِ يقول: فأدخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: فيها من ذكر الفلك. منْ كُلَ زَوْجِيْنِ اثْنَينِ يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قوم الشاعر:

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرّدْوَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف ومنه قولي الهُذَلِيّ:

حتى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِي قُتائِدَةٍشَلاّ كمَا تَطْرُدِ الجَمّالَةُ الشّرُدَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19292- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلَ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين.

وأهْلَكَ وهم ولده ونساؤهم: إلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك, وهو يام الذي غرق. ويعني بقوله: مِنْهُمْ مِن أهلك, والهاء والميم في قوله «منهم» من ذكر الأهل. وقوله: وَلا تخاطِبْنِي... الآية, يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم. إنّهُمْ مُغْرَقُونَ يقول: فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للّهِ الّذِي نَجّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله فإذَا اسْتَوَيْتَ أنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلى الفُلْكِ: فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومعك ممن حملته معك من أهلك, راكبا فيها عاليا فوقها فَقُلِ الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي نَجّانا مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ يعني من المشركين.

الآية : 29 - 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُل رّبّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ وَإِن كُنّا لَمُبْتَلِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام: وقل إذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها: رَبّ أَنْزِلْنِي مُنَزلاً من الأرض مُبارَكا وأَنْتَ خَيرُ من أنزل عباده المنازل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19293- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مُنْزِلاً مُبارَكا قال: لنوح حين نزل من السفينة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: رَبّ أَنْزِلْنِي مُنْزِلاً مُبارَكا بضم الميم وفتح الزاي, بمعنى: أنزلني إنزالاً مباركا. وقرأه عاصم: «مَنْزِلاً» بفتح الميم وكسر الزاي, بمعنى: أنزلني مكانا مباركا وموضعا.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام, لعبرا لقومك من مشركي قريش, وعظاتٍ وحُجَجا لنا, يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم, فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك, حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب. وقوله: وَإنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا, لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

الآية : 31 - 32

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مَهْلِك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم. فأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ داعيا لهم, إنِ اعْبُدُوا اللّهَ يا قوم, وأطيعوه دون الآلهة والأصنام, فإن العبادة لا تنبغي إلا له. ما لَكُمْ مِنْ إلَـهٍ غَيْرُهُ يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه. أفَلا تَتّقُونَ: أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه, وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِلِقَآءِ الاَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الدّنْيَا مَا هَـَذَا إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح. وعَنَى بالرسول في هذا الموضع: صالحا, وبقومه: ثمود. الّذِينَ كَفَرُوا وكَذّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ يقول: الذين جحدوا توحيد الله وكَذّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ يعني كذّبوا بلقاء الله في الآخرة. وقوله: وأَتْرَفْناهُمْ فِي الحَياةِ الدّنْيا يقول: ونعّمناهم في حياتهم الدنيا بما وسّعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق, حتى بَطِروا وعَتَوْا على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز:

وَقَدْ أُرَانِي بالدّيارِ مُتْرَفا

وقوله: ما هَذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولاً من بيننا, وخصه بالرسالة دوننا, وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب, وكيف لم يرسل ملَكا من عنده يبلغنا رسالته؟ قال: وَيَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ معناه: مما تشربون منه, فحذف «من» الكلام «منه», لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم, وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

الآية : 34 - 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مّثْلَكُمْ إِنّكُمْ إِذاً لّخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنّكُمْ إِذَا مِتّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنّكُمْ مّخْرَجُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم: وَلَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَرا مِثْلَكُمْ فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدّقتموه. إنّكُمْ أيها القوم إذا لَخاسِرُونَ: يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا, باتباعكم إياه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله: أيَعِدُكُمْ أنّكُمْ إذَا مِتّمْ وكُنْتُمْ تُرَابـا وَعِظامـا... الآيـة, يقول تعالـى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالـح أنكم إذا متـم وكنتـم ترابـا فـي قبوركم وعظاما قد ذهبت لـحوم أجسادكم وبقـيت عظامهـا, أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتـم قبل مـماتكم؟ وأعيدت «أنكم» مرّتـين, والـمعنى: أيعدكم أنكم إذا متـم وكنتـم ترابـا وعظاما مخرجون مرّة واحدة, لـما فرق بـين «أنكم» الأولـى وبـين خبرها ب«إذا», وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت علـيه الظنّ وأخواتـه, ثم اعترضت بـالـجزاء دون خبره, فتكرّر اسمه مرّة وتـحذفه أخرى, فتقول: أظنّ أنك إن جالستنا أنك مـحسن, فإن حذفت «أنك» الأولـى الثانـية صلـح, وإن أثبتهمـا صلـح, وإن لـم تعترض بـينهما بشـيء لـم يجز, خطـأ أن يقـال: أظنّ أنـك أنـك جـالس. وذكـر أن ذلـك فـي قـراءة عبـد الله: «أيَعِدُكُمْ إذَا مِتّـمْ وكُنْتُمْ تُرَابـا وَعِظاما أنّكُمْ مُخْرَجُونَ».

الآية : 36 - 37

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {هَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ لِمَـا تُوعَدُونَ * إنْ هِـيَ إلاّ حَيَاتُنَـا الدّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }.

وهذا خبر من الله جلّ ثنـاؤه عن قول الـملأ من ثمود أنهم قـالوا: هَيْهـاتَ هَيْهـاتَ أي بعيد مـا توعدون أيها القوم, من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابـا وعظامـا مخرجون أحياء من قبوركم, يقولون: ذلك غير كائن.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19294- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابـن عبـاس, فـي قوله: هَيْهاتَ هَيْهاتَ يقول: بعيد بعيد.

19295- حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قَتـادة, فـي قوله: هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِـمَا تُوعَدُونَ قال: يعنـي البعث.

والعرب تُدخـل اللام مع «هيهات» فـي الاسم الذي يصـحبها, وتنزعها منـه, تقول: هيات لك هيات, وهيهاتَ ما تبتغي هيهات وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بـمعنى هيهات, كأنه قال: بعيد ما ينبغي لك كما قال جرير:

فَهَيْهاتَ هَيْهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِوَهَيْهاتَ خِـلّ بـالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

كأنه قال: العقيق وأهله, وإنـما دخـلت اللام مع هيهـات فـي الاسم لأنهم قـالوا: «هيهـات» أداة غير مأخوذة من فعل, فأدخـلوا معها فـي الاسم اللام, كما أدخـلوها مع هلـمّ لك, إذ لـم تكن مأخوذة من فعل, فإذا قالوا أقبل, لـم يقولوا لك, لاحتـمال الفعل ضمير الاسم.

واختلـف أهل العربـية فـي كيفـية الوقـف علـى هيهـات, فكـان الكسـائي يختـار الوقـوف فـيها بـالهاء, لأنها منصوبة وكان الفرّاء يختار الوقوف علـيها بـالتاء, ويقول: من العرب من يخفض التاء, فدلّ علـى أنها لـيست بهاء التأنـيث, فصارت بـمنزلة دَرَاكِ ونَظَارِ وأما نصب التـاء فـيهما, فلأنهما أداتان, فصارتا بـمنزلة خمسةَ عَشر. وكان الفراء يقول: إن قيـل إن كل واحدة مستغنـية بنفسها يجوز الوقوف علـيها, وإن نصبها كنصب قوله: ثُـمّتَ جلست وبـمنزلة قول الشاعر:

ماوِيّ يَارُبّتَـما غارةٍشَعْوَاءَ كاللّذْعَةِ بـالـمِيسَمِ

قال: فنصب «هيهات» بـمنزلة هذه الهاء التـي فـي «ربت», لأنها دخـلت علـى حرف, علـى «ربّ» وعلـى «ثم», وكانا أداتـين, فلـم تغيرها عن أداتهما فنصبـا.

واختلف القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الأمصار غير أبـي جعفر: هَيْهاتَ هَيْهاتَ بفتـح التاء فـيهما. وقرأ ذلك أبو جعفر: «هَيْهاتِ هَيْهَاتِ» بكسر التاء فـيهما. والفتـح فـيهما هو القراءة عندنا, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيه.

وقوله: إنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنـيْا يقول: مـا حياة إلا حياتنـا الدنـيا التـي نـحن فـيها نُـموتُ ونَـحْيا يقول: تـموت الأحياء منا فلا تـحيا ويحدث آخرون منـا فـيولدون أحياء. وَمـا نَـحْنُ بِـمَبْعُوثـينَ: يقول: قالوا: وما نـحن بـمبعوثـين بعد الـممات. كما:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19296- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا نَمُوتُ وَنحيْا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ قال: يقول ليس آخره ولا بعث, يكفرون بالبعث, يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا, يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء, يقولون: إنا الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا: يقولون: يموت هؤلاء ويأتي آخرون. وقرأ: وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنْبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتمْ كُلّ مُمَزّقٍ إنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وقرأ: لا تَأْتِينا السّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبّي لَتَأْتِيَنّكُمْ.

الآية : 38 - 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ افتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبّ انْصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ * قَالَ عَمّا قَلِيلٍ لّيُصْبِحُنّ نَادِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من إله غير الله وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مُخْرجون. وقوله: هُوَ من ذكر الرسول, وهو صالح. وَما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ يقول: وما نحن له بمصدّقين فيما يقول أنه لا إله لنا غير الله, وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: قالَ رَبّ انْصُرْنِي بِمَا كَذّبُونِ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ومن تصديقهم إياه بقولهم وَما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ: ربّ انْصُرْنِي على هؤلاء بما كَذّبُونِ يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحقّ. فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه وتكذيبهم له, فقال الله له مجيبا في مسئلته إياه ما سأل: عن قليل يا صالح ليصبحُنّ مكذّبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين, وذلك حين تَنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ بِالْحَقّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً فَبُعْداً لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا منهم, فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحقّ وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله. فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً يقول: فصيرناهم بمنزلة الغُثاء, وهو ما ارتفع على السيل ونحوه, كما لا ينتفع به في شيء. فإنما هذا مَثَل, والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19297- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْدا لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ يقول: جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر.

19298- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: غُثاءً كالرميم الهامد, الذي يحتمل السيل.

19299- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل.

19300- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: هو الشيء البالي.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19301- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فجَعَلْناهُمْ غُثاءً قال: هذا مثل ضربه الله.

وقوله: فَبُعْدا لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم, إذ كفروا بربهم وعَصَوا رسله وظلموا أنفسهم.

19302- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: أولئك ثمود, يعني قوله: فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْدا لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 42 - 43

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين. وقوله: ما تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أجَلَها يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها, ولا يستأخِر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله, ليبلغوا الأجل الذي أجّل لهم فيحلّ بهم نقمته, كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلّ مَا جَآءَ أُمّةً رّسُولُهَا كَذّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لّقَوْمٍ لاّ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثُمّ أرْسَلْنا إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رُسُلَنا تَتْرَى يعني: يتبع بعضها بعضا, وبعضها في أثر بعض. وهي من المواترة, وهي اسم لجمع مثل «شيء», لا يقال: جاءني فلان تترى, كما لا يقال: جاءني فلان مواترة, وهي تنوّن ولا تنوّن, وفيها الياء, فمن لم ينوّنها فَعْلَى من وترت, ومن قال «تترا» يوهم أن الياء أصلية كما قيل: مِعْزًى بالياء, ومَعْزا وبُهْمَى بُهْما ونحو ذلك, فأجريت أحيانا وترك إجراؤها أحيانا, فمن جعلها «فَعْلَى» وقف عليها, أشاء إلى الكسر, ومن جعلها ألف إعراب لم يشر, لأن ألف الإعراب لا تكسر, لا يقال: رأيت زيدا, فيشار فيه إلى الكسر.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19303- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى يقول: يَتْبع بعضها بعضا.

حدثنا محمد بن سعد, قال: ثنى أبي, قال: ثنى عمي, قال: ثنى أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ثُمّ أرْسَلْنا رُسُلَنَا تترَى يقول: بعضها على أثر بعض.

19304ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: تَتْرَى قال: اتباع بعضها بعضا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: ثُمّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى قال: يتبع بعضها بعضا.

19305- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى قال: بعضهم على أثر بعض, يتبع بعضهم بعضا.

واختلفت قرّاء الأمصار في قراءة ذلك, فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «تَتْرًى» بالتنوين. وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قرّاء الكوفة يقرءونه: تَتْرَى بإرسال الياء على مثال «فَعْلَى». والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان, ولغتان معروفتان في كلام العرب بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب غير أنّي مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين, لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما.

وقوله: كُلّما جاءَ أُمّةً رَسُولُهَا كَذّبُوهُ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله إليهم, كذّبوه فيما جاءهم به من الحقّ من عندنا. وقوله: فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضا يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: وَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ للناس ومثلاً يُتَحدّث بهم, وقد يجوز أن يكون جمع حديث. وإنما قيل: وَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ لأنهم جُعلوا حديثا ومثلاً يُتمثّل بهم في الشرّ, ولا يقال في الخير: جعلته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حديثا ولا أُحدوثة. وقوله: فَبُعْدا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدّقون برسوله.

الآية : 45 -46

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَرْسَلْنَا مُوسَىَ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مّبِينٍ * إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية, موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتِنَا يقول: بحججنا, فاسْتَكْبَرُوا عن اتّباعها والإيمان بما جاءهم به من عند الله. وكانُوا قَوْما عالِينَ يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم, قاهرين لهم.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

19306- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقوله: وكانُوا قَوْما عالِينَ قال: عَلَوا على رسلهم وعصَوا ربهم ذلك علوّهم. وقرأ: تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ... الآية.

الآية : 47 - 48

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ الْمُهْلَكِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا فنتبعهما وَقَوْمُهُما من بني إسرائيل لَنا عابِدُونَ يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون, يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم. والعرب تسمي كل من دان الملك عابدا له, ومن ذلك قيل لأهل الحِيرة: العباد, لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19307- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قال فرعون: أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا... الآية, نذهب نرفعهم فوقنا, ونكون تحتهم, ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا, كيف نصنع ذلك؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة. وقرأ: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ قال: العلوّ في الأرض.

وقوله: فَكَذّبُوهُما فَكانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ يقول: فكذّب فرعون وملؤه موسى وهارون, فكانوا ممن أهلَكَهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

الآية : 49 - 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىَ الْكِتَابَ لَعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىَ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة, ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل, ويعلموا بما فيها. وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمّهُ يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم, وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل, كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب. كما:

19308- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمر, عن قَتادة, في قوله: وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمّهُ قال: ولدته من غير أب هو له.

ولذلك وُحّدت الآية, وقد ذكر مريم وابنها.

وقوله وآوَيْناهما إلى رَبْوَةٍ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة, يقال: أوى فلان إلى موضع كذا, فهو يأوِي إليه. إذا صار إليه وعلى مثال «أفعلته» فهو يُؤْويه. وقوله إلى رَبْوَة يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه وعزّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه, وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريد بها الاسم, وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل رَبَا رَبْوة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوَى إليه مريم وابنها, فقال بعضهم: هو الرّملة من فلسطين. ذكر من قال ذلك:

19309- حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا صفوان بن عيسى, قال: حدثنا بشر بن رافع, قال: ثني ابن عمّ لأبي هريرة, يقال له أبو عبد الله, قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين, فإنها الربوة التي قال الله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

19310- حدثني عصام بن رَوّاد بن الجراح, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا عباد أبو عتبة الخوّاص, قال: حدثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني, عن ابن وَعْلَة, عن كريب, قال: ما أدري ما حدثنا مُرّة النَبْهزيّ, أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذكر أن الربوة هي الرملة».

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن بشر بن رافع, عن أبي عبد الله بن عمّ أبي هريرة, قال: سمعت أبا هريرة يقول في قول الله: إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: هي الرملة من فلسطين.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا صفوان, قال: حدثنا بشر بن رافع, قال: حدثنا أبو عبد الله ابن عمّ, أبي هريرة, قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة التي بفلسطين, فإنها الربوة التي قال الله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

وقال آخرون: هي دمشق. ذكر من قال ذلك:

19311- حدثنا أحمد بن الوليد القرشي, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: زعموا أنها دمشق.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: بلغني, عن ابن المسيب أنه قال دمشق.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, مثله.

19312- حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي, قال: حدثنا ابن بكير, قال: حدثنا الليث بن سعد, قال: ثني عبد الله بن لهيعة, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, في قوله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: إلى ربوة من رُبا مصر. قال: وليس الرّبَا إلاّ في مصر, والماء حين يُرسَل تكون الربَا عليها القرى, لولا الربَا لغرقت تلك القرى.

وقال آخرون: هي بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

19313- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: هو بيت المقدس.

19314- قال: ثنامحمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة قال: كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانيةَ عَشَر ميلاً.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن كعب, مثله.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة, لأن الرملة لا ماء بها مُعِين, والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19315- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ قال: الربوة: المستوية.

19316- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلى رَبْوَةٍ قال: مستوية.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: ذَات قَرَارٍ وَمَعِينٍ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى, أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جارٍ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19317- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمَعِينٍ قال: المَعِين: الماء الجاري, وهو النهر الذي قال الله: قَدْ جَعَلَ رَبّكَ تَحْتَكِ سَرِيّا.

19318- حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, في قوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: المَعِين: الماء.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مَعِين, قال: ماء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19319- حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصّلْت, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, في قوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: المكان المستوى, والمَعِين: الماء الظاهر.

19320- حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمَعِينٍ: هو الماء الظاهر.

وقال آخرون: عُني بالقرار الثمار. ذكر من قال ذلك:

19321- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ هي ذات ثمار, وهي بيت المقدس.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قَتادة في معنى: ذَاتِ قَرَارٍ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار, لما فيها من الثمار, ومن أجل ذلك يستقرّ فيها ساكنوها, فلا وجه له نعرفه. وأما مَعِينٍ فإنه مفعول من عِنْته فأنا أعينه, وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلاً من مَعَن يمعن, فهو معين من الماعون ومنه قول عَبيد بن الأبرص:

وَاهِيَةٌ أوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌأوْ هَضْبَةٌ دُونَها لُهُوبُ

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الرّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطّيّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً إِنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيّبه الله لكم دون الحرام, وَاعْمَلُوا صَالِحا تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنّا أذاكم, وكما قال: الّذِينَ قَالَ لهم النّاسُ, وهو رجل واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19322- حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل, قال: ثني عبيد بن إسحاق الضبيّ العطار, عن حفص بن عمر الفزاريّ, عن أبي إسحاق السبيعيّ, عن عمرو بن شرحبيل: يا أيّها الرّسُلُ كُلُوا مِنَ الطّيّباتِ وَاعْمَلُوا صَالحا قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه.

وقوله: إنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يقول: إني بأعمالكم ذو علم, لا يخفى عليّ منها شيء, وأنا مجازيكم بجميعها, وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها, فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبّكُمْ فَاتّقُونِ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَإنّ هَذِهِ أمّتُكُمْ أُمّةً وَاحدَةً, فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «وأنّ» بالفتح, بمعنى: إني بما تعملون عليم, وأن هذه أمتكم أمة واحدة. فعلى هذا التأويل «أنّ» في موضع خفض, عطف بها على «ما» من قوله: بِما تَعْمَلُونَ, وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرىء ذلك كذلك, ويكون معنى الكلام حينئذٍ: واعلموا أن هذه,

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويكون نصبها بفعل مضمر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بالكسر: وَإنّ هذه على الاستئناف. والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب, لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى: يا أيّها الرُسُلُ مبتدأ, فقوله: وَإنّ هَذِهِ مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات, وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدّين والملة. ذكر من قال ذلك:

19323- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَإنّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً قال: الملة والدين.

وقوله: وأنا رَبّكُمْ فاتّقُونِ يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي. ونصبت «أمة واحدة» على الحال. وذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا. وكان بعض نحويّي البصرة يقول: رَفْع ذلك إذا رفع على الخبر, ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه. وأما نحويّو الكوفة فيأبُون ذلك إلاّ في ضرورة شعر, وقالوا: لا يقال: مررت بهذا غلامكم لأن «هذا» لا تتبعه إلاّ الألف واللام والأجناس, لأن «هذا» إشارة إلى عدد, فالحاجة في ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أيّ الأجناس هو؟ وقالوا: وإذا قيل: هذه أمتكم واحدة, والأمة غائبة وهذه حاضرة, قالوا: فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب, قالوا: فلذلك لم يجز: إن هذا زيد قائم, من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لا إلى المعرفة.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَقَطّعُوَاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: زُبُرا فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق: زُبُرا بمعنى جمع الزّبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة, دينهم الذي أمرهم الله بلزومه زُبُرا كُتُبا, فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر, كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن, وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم وكذّبوا بحكم الفرقان. ذكر من تأوّل ذلك كذلك:

19324- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة زُبُرا قال: كُتُبا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19325- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بَيْنَهُمْ زُبُرا قال: كُتُب الله فرّقوها قطعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا قال مجاهد: كُتُبهم فرّقوها قطعا.

وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتفرّقوا دينهم بينهم كُتُبا أحدثوها يحتجّون فيها لمذاهبهم. ذكر من قال ذلك:

19326- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب, كلّ معجبون برأيهم, ليس أهل هواء إلاّ وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم.

وقرأ ذلك عامة قرّاء الشام: «فَتَقَطّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبَرا» بضم الزاء وفتح الباء, بمعنى: فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد, وذلك القِطَع منها, واحدتها زُبْرة, من قول الله: آتُونِي زُبَرَ الحَدِيد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك: قراءة من قرأه بضم الزاء والباء, لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب, فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك, لأن الزّبُر هي الكتب, يقال منه: زَبَرْت الكتاب: إذ كتبته.

فتأويل الكلام: فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبا, كما بيّنا قبل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ يقول: كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون, معجبون به, لا يرون أن الحقّ سواه. كما:

19327- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كُلّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ قطعة, وهؤلاء هم أهل الكتاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: كُلّ حِزْبٍ قطعة, أهل الكتاب.

الآية : 54 - 55

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتّىَ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنّمَا نُمِدّهُمْ بِهِ مِن مّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاّ يَشْعُرُونَ }.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطّعوا أمرهم بينهم زبرا, في غَمْرَتِهِمْ في ضلالتهم وغيهم, حَتّى حِينٍ يعني إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19328- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حتى حِينٍ قال: في ضلالهم.

19329- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَذَرْهُم فِي غَمْرَتِهِمْ حتى حِينٍ قال: الغَمْرة: الغَمْر.

وقوله: أيَحْسَبُونَ أنّما نُمِدّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينٍ يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زُبُرا, أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نُسارِعُ لَهُمْ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة, ونبادر لهم فيها؟ و «ما» من قوله: أنّمَا نُمِدّهُمْ بِهِ نصب, لأنها بمعنى «الذي». بَلْ لا يَشْعُرُونَ يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك, بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدّهم به من ذلك, إنما هو إملاء واستدراج لهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19330- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أنّمَا نُمِدّهُمْ قال: نعطيهم, نسارع لهم, قال: نَزيدهم في الخير, نُمْلي لهم, قال: هذا لقريش.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19331- حدثني محمد بن عمر بن عليّ, قال: ثني أشعث بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن خالد الحذّاء, قال: قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة, قول الله: نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ؟ قال: يسارع لهم في الخيرات.

وكأن عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك, إلى أن تأويله: يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين في الخيرات.

الآية : 57 - 59

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ هُم مّنْ خَشْيَةِ رَبّهِمْ مّشْفِقُونَ * وَالّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالّذِينَ هُم بِرَبّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ }.

يعني تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون, فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادّون في طلب مرضاته. وَالّذِينَ هُمْ بآيَاتِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدّقون. الذين هُمْ بِرَبّهِمْ لا يُشْرِكُونَ يقول: والذين يُخلصون لربهم عبادتهم, فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثَن ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لصنم, ولا يُراءون بها أحدا من خلقه, ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا, وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

الآية : 60 - 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنّهُمْ إِلَىَ رَبّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَـَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: والّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا والذين يعطون أهل سُهْمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم. ما آتَوْا يعني: ما أعطوهم إياه من صدقة, ويؤدّون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون, فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله, فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك, كما قال الحسن: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19332- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبجر, عن رجل, عن ابن عمر: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: الزكاة.

19333- حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: المؤمن ينفق ماله وقلبه وَجِلٌ.

19334- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي الأشهب, عن الحسن, قال: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعملون ما عملوا من أعمال البرّ, وهم يخافون ألاّ ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.

19335- حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: المؤمن ينفق ماله ويتصدّق وقلبه وَجِل أنه إلى ربه راجع.

19336- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن يونس, عن الحسن أنه كان يقول: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة, وإن المنافق جمع إساءة وأمنا. ثم تلا الحسن: إنّ الّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ إلى: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أنّهُمْ إلى رَبّهِمْ رَاجِعُونَ وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي.

19337- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة: يُؤْتُونَ ما آتَوْا قال: يُعطون ما أعطوا. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: خائفة.

19338- حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت وهي من المبشّرات.

19339- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ قال: يُعْطُون ما أعطَوا ويعملون ما عملوا من خير, وقلوبهم وجلة خائفة.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19340- حدثنا عليّ, قال: ثني معاوية, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يَأْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: يعملون خائفين.

19341- قال: حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعطون ما أعطوا فَرَقا من الله ووجلاً من الله.

19342- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يُؤْتُونَ ما آتَوْا ينفقون ما أنفقوا.

19343- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدّقون بما تصدّقوا وقلوبهم وجلة, اتقاء لسخط الله والنار.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذه القراءة, أعني على: وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا قرأه الأمصار, وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ, لإجماع الحجة من القرّاء عليه ووفاقه خطّ مصاحف المسلمين.

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك, ما:

19344- حدثناه أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا عليّ بن ثابت, عن طلحة بن عمر, عن أبي خلف, قال: دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة, فسألها عبيد: كيف نقرأ هذا الحرف وَالّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا؟ فقالت: «يَأْتُونَ ما أتَوْا».

وكأنها تأوّلت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله. وكأنها تأوّلت في ذلك: والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله, كالذي:

19345- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمر بن قيس, عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: قالت عائشة: يا رسول الله «وَالّذِينَ يَأْتُونَ مَا أتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ» هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: «لا, وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلّي ويَتَصَدّقُ وَهُوَ وَجِلٌ».

19346- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن مالك بن مِغْول, عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب, أن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله الّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أهم الذين يُذنبون وهم مشفقون وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ؟

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا ليث, عن مغيث, عن رجل من أهل مكة, عن عائشة, قالت: قلت: يا رسول الله: الّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال: فذكر مثل هذا.

حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مالك بن مغول, عن عبد الرحمن بن سعيد, عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أهو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا ابْنَةَ أبي بَكْرٍ أو يا ابْنَةَ الصّدّيقِ وَلَكِنّهُ الرّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلّي وَيَتَصَدّقُ, وَيخافُ أنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ».

19347- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني جرير, عن ليث بن أبي سليم, وهشيم عن العوّام بن حَوْشب جميعا, عن عائشة, أنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا ابْنَةَ أبي بَكْرٍ أو يا بْنَةَ الصّدّيقِ هُمُ الّذِينَ يُصَلّونَ وَيَفْرَقُونَ أنْ لا يُتَقَبّلَ مِنْهُمْ». و «أنّ» من قوله: أنّهُمْ إلى رَبّهِمْ رَاجِعُونَ: في موضع نصب, لأن معنى الكلام: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ من أنهم, فلما حذفت «مِنْ» اتصل الكلام قبلها, فنصبت. وكان بعضهم يقول: هو في موضع خفض, وإن لم يكن الخافض ظاهرا.

وقوله: أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم, يبادرون في الأعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته. كما:

19348- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُولَئكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ.

وقوله: وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ كان بعضهم يقول: معناه: سبقت لهم من الله السعادة, فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها. ذكر من قال ذلك:

19349- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَهُمْ لَها سَابِقُونَ يقول: سبقت لهم السعادة.

19350- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ, فتلك الخيرات.

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوّله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس, من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات, ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لأن ذلك أظهر معنييه, وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك, إلى تحويل معنى «اللام» التي في قوله: وَهُمْ لَهَا إلى غير معناها الأغلب عليها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلاّ ما يَسَعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله, وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع. وَلَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحَقّ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرّ يَنْطِقُ بِالْحَقّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا, لا زيادة عليه ولا نقصان, ونحن موفو جميعهم أجورهم, المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته. وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول: وهم لا يظلمون, بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُرْمه, وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عما له من الثواب.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مّنْ هَـذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون, من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين, بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: مِنْ هَذَا من القرآن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19351- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قال: في عَمًى من هذا القرآن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قال: من القرآن.

وقوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي. مِنْ دُونِ ذَلِكَ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله وأهل التقوى والخشية له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19352- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزة, عن مجاهد: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: الخطايا.

19353- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ قال: الحق.

حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلك قال: خطايا من دون ذلك الحقّ.

19354- قال: حدثنا حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ... الآية, قال: أعمال دُون الحق.

19355- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة, ثم قال للكفار: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ولَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: من دون الأعمال التي منها قوله: مِنْ خَشْيَة رَبّهِمْ مُشْفِقُونَ والذين, والذين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19356- حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

19357- حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن حماد بن سلمة, عن حميد, قال: سألت الحسن عن قول الله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

19358- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: لم يكن له بدّ من أن يستوفي بقية عمله, ويَصْلَى به.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن الثوريّ, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قوله: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قول الله تبارك وتعالى: ولَهُمْ أعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

الآية : 64 - 65

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لاَ تَجْأَرُواْ الْيَوْمَ إِنّكُمْ مّنّا لاَ تُنصَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون, إلى أن يؤخذ أهل النّعمة والبطر منهم بالعذاب. كما:

19359- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذابِ, قال: المُتْرَفُون: العظماء. إذَا هُمْ يَجْئَرُونَ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا, يقول: ضجّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

ولعلّ الجُؤار: رفع الصوت, كما يجأر الثور ومنه قول الأعشى:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيكِ طَوْرا سُجُودا وَطَوْرا جُؤَارَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19360- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إذَا هُمْ يَجأَرُونَ يقول: يستغيثون.

19361- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن علقمة بن قردد, عن مجاهد, في قوله: حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهم بالعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: بالسيوف يوم بدر.

19362- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: يجزعون.

19363- قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج: حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهمْ بالعَذَابِ قال: عذاب يوم بدر. إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: الذين بمكة.

19364- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتّى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِ يعني أهل بدر, أخذهم الله بالعذاب يوم بدر.

19365- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ قال: يجزعون.

وقوله: لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ يقول: لا تضجّوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم, فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. إنّكُمْ مِنّا لا تُنْصَرُونَ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حلّ بكم لا تستنقذون, ولا يخلصكم منه شيء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19366- حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس: لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ: لا تجزعوا اليوم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19367- حدثني يونس, قال: أخبرنا الربيع بن أنس: لا تَـجْأَرُوا الـيَوْمَ لا تـجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب, إنه لا ينفعكم, فلو كان هذا الـجزع قبلُ نفعكم.

الآية : 66 - 67

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَـى عَلَيْكُمْ فَكُنـتُمْ عَلَـى أَعْقَـابِكُمْ تَنكِصُـونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لهؤلاء الـمشركين من قريش: لا تضـجوا الـيوم وقد نـزل بكم سخط الله وعذابه, بـما كسبت أيديكم واستوجبتـموه بكفركم بآيات ربكم. قَد كانَتْ آيَاتِـي تُتْلَـى عَلَـيْكُمْ يعنـي: آيـات كتـاب الله, يقول: كانـت آيـات كتابـي تقرأ علـيكم فتكذّبون بهـا وترجعون مولّـين عنهـا إذا سمعتـموها, كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكلّ من رجع من حيث جاء: نكص فلان علـى عقبه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19368- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد: فَكُنْتُمْ عَلـى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ قال: تستأخرون.

19369- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: فَكُنْتُمْ عَلـى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ يقول: تدبرون.

19370- حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: قَدْ كانَتْ آياتـي تُتْلَـى عَلَـيْكُمْ, فَكُنْتُـمْ عَلـى أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ يعنـي أهل مكة.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن. قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: تَنْكِصُونَ قال: تستأخرون.

وقوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ يقول: مستكبرين بحرم الله, يقولون: لا يظهر علـينا فـيه أحد, لأنـا أهل الـحرم.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19371- حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فـي قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ يقول: مستكبرين بحرم البـيت أنه لا يظهر علـينا فـيه أحد.

19372- حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـي قول الله: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ قال: بـمكة بـالبلد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, نـحوه.

19373- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذة, قال: حدثنا عوف, عن الـحسن: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ قـال: مستكبرين بحرمي.

19374- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ بـالـحرم.

19375- حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ قـال: مستكبرين بـالـحرم.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قَتادة, مثله.

19376- حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضـحاك يقول فـي قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ قال: بـالـحرم.

وقوله: سامِرا يقول: تَسْمُرون بـاللـيـل. ووحد قولـه: سامِرا وهو بـمعنى السّمّار, لأنـه وضـع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجُرون لـيلاً, فوضع السامر موضع اللـيـل, فوحّد لذلك. وقد كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعض البصريين يقول: وُحّد ومعناه الجمع, كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحّد لذلك, قول الشاعر.

مِنْ دُونِهِمْ إنْ جِئْتَهُمْ سَمَرا عَزْفُ القِيانِ ومَجْلِسٌ غَمْر

فقال: «سمرا» لأن معناه: إن جئتهم ليلاً وهم يسمُرون, وكذلك قوله: سامِرا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19377- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: سامِرا يقول: يَسْمُرون حول البيت.

19378- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سامِرا قال: مجلسا بالليل.

حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: سامِرا قال: مجالس.

19379- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن حُصين, عن سعيد بن جُبير: سامِرا قال: تَسْمُرون بالليل.

19380- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سامِرا قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون: يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون.

19381- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: سامِرا قال: يعني سَمَر الليل.

وقال بعضهم في ذلك, ما:

19382- حدثنا به ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: سامِرا يقول: سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف, كانوا يقولون: نحن أهل الحرم لا يَخافون.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قتادة: سامِرا يقول: سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف, قال: كانوا يقولون: نحن أهل الرحم لا نخاف.

وقوله: تَهْجُرُونَ اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: تَهْجُرُونَ بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت, أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجُر الرجل في منامه, وذلك إذا هَذَى فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول, وذلك أن يقولوا فيه باطلاً من القول الذي لا يضرّه. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل. ذكر من قال: كانوا يُعْرِضون عن ذكر الله والحقّ ويهجُرونه:

19383- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: تَهْجُرُونَ قال: يهجُرون ذكر الله والحقّ.

19384- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن السديّ, عن أبي صالح, في قوله: سامرا تَهْجُرُونَ قال: السبّ.

ذكر من قال: كانوا يقولون الباطل والسيّىء من القول في القرآن:

19385- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جُبير: تَهْجرُونَ قال: يهجُرون في الباطل.

قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جبير: سامِرا تَهْجُرُونَ قال: يسمرون بالليل يخوضون في الباطل.

19386- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تَهْجُرُونَ قال: بالقول السيىء في القرآن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19387- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: تَهْجُرُونَ قال: الهَذَيان الذي يتكلم بما لا يريد, ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أبيّ يقرؤها: سامِرا تَهْجُرُونَ.

وقرأ ذلك آخرون: «سامرا تُهْجِرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قرّاء الأمصار نافع بن أبي نعيم, بمعنى: يُفْحِشون في المنطق, ويقولون الخَنَا, من قولهم: أهجر الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبّون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19388- حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: «تُهْجِرُونَ» قال: تقولون هُجْرا.

19389- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن أبي نَهِيك, عن عكرمة, أنه قرأ: «سامِرا تَهْجِرُونَ»: أي تسبّون.

19390- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عون, عن الحسن, في قوله: «سامِرا تُهْجِرُونَ» رسولي.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, قال: قال الحسن: «تُهْجِرُونَ» رسول الله صلى الله عليه وسلم.

19391- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, عن معمر, عن قتادة: «تُهْجِرُونَ» يقول: يقولون سوءا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, قال: قال الحسن: «تُهْجِرُونَ» كتاب الله ورسوله.

19392- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «تُهْجِرُونَ»يقول: يقولون المنكر والخَنَا من القول, كذلك هَجْر القول.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرّاء الأمصار, وهي فتح التاء وضم الجيم, لإجماع الحجة من القرّاء.

الآية : 68 - 70

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مّا لَمْ يَأْتِ آبَآءَهُمُ الأوّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كَارِهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه, فيعلموا ما فيه من العبر, ويعرفوا حجج الله التي احتجّ بها عليه فيه؟ أمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأتِ آباءَهُمُ الأَوّلِينَ؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم, فاستكبروا ذلك وأعرضوا, فقد جاءت الرسل من قبلهم, وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون «أم» في هذا الموضع بمعنى: «بل», فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبّروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين, فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه, إذ لم يكن فيمن سلف من آباءهم ذلك. وقد ذُكر عن ابن عباس في نحو هذا القول, ما:

19393- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: أفَلَمْ يَدّبّرُوا القَوْلَ أمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الأَوّلِينَ قال: لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين, ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين.

وقوله: أمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدا, وأنه من أهل الصدق والأمانة, فَهُمْ له مُنْكِرُونَ يقول: فينكروا قوله, أو لم يعرفوه بالصدق, ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جلّ ثناؤه: فكيف يُكَذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة. أمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنّةٌ يقول: أيقولون بمحمد جنون, فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يُفهم ولا يَدْرِي ما يقول: بَلْ جاءَهُمْ بالحَقّ يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكَذِبُهم في قيلهم ذلك واضح بيّن وذلك أن المجنون يَهذِي فيأتي من الكلام بما لا معنى له, ولا يعقل ولا يفهم, والذي جاءهم به محمد هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة, فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟ وقوله: وأكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كارِهُونَ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون, بل قد علموه صادقا محقّا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه, ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ولأتباع محمد ساخطون, حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوِ اتّبَعَ الْحَقّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السّمَاوَاتُ وَالأرْضُ وَمَن فِيهِنّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مّعْرِضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوَى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحقّ الذي هم له كارهون, لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيحَ من التدبير والفاسد. فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ, لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله, لأن ذلك قام بالحقّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19394- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا السديّ, عن أبي صالح: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الله.

قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الحقّ: هو الله.

19395- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَلَوِ اتّبَعَ الحَقّ أهْوَاءَهُمْ قال: الحقّ: الله.

وقوله: بَلْ أتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن. ذكر من قال ذلك:

19396- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: بَلْ أتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ يقول: بيّنا لهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشَرَفهم وذلك أن هذا القرآن كان شَرَفا لهم, لأنه نزل على رجل منهم, فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وهذان القولان متقاربا المعنى. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بيّن فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم, وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشَرَف لهم.

الآية : 72 - 73

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ * وَإِنّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خَراجا, يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ: فأجر ربك على نفاذك لأمره, وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك, ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا, قال لهم كما قال الله له, وأمره بقيله لهم: قُلْ لا أسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُربى وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا, فنكصُوا على أعقابهم إذا تلوتَه عليهم, مستكبرين بالحرم, فخراج ربك خير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19397- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: أمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجا فخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ قال: أجرا.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الحسن, مثله.

وأصل الخراج والخَرْج: مصدران لا يُجْمعان.

وقوله: وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله: وَإنّكَ لَتَدْعُوهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام, وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

الآية : 74 - 75

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإنّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مّن ضُرّ لّلَجّواْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات, وقيام الساعة, ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عَنِ الصّراطِ لَناكِبُونَ يقول: عن مَحَجّة الحق وقصد السبيل, وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لَعادِلُونَ, يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه, ونكّب عنه: أي عدل عنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19398- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس, قوله: عَنِ الصّرَاطِ لَناكِبُونَ قال: لعادلون.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإنّ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصّراطِ لَناكِبُونَ يقول: عن الحقّ عادلون.

وقوله: وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرَ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة, ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال لَلَجّوا فِي طُغْيانِهِمْ يعني في عتوّهم وجرأتهم على ربهم. يَعْمَهُونَ يعني: يتردّدون كما:

19399- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرَ قال: الجوع.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُواْ لِرَبّهِمْ وَمَا يَتَضَرّعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا, وأنزلنا بهم بأسنا, وسخطنا وضيّقنا عليهم معايشهم, وأجدبنا بلادهم, وقتلنا سراتهم بالسيف. فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه ويُنيبوا إلى طاعته. وَما يَتَضَرّعُونَ يقول: وما يتذللون له.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجدب, دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19400- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تميلة, عن الحسن, عن يزيد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: جاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا محمد, أَنْشُدُكَ الله والرحم, فقد أكلنا العِلْهِز يعني الوبر والدم. فأنزل الله: وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ, فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ وَما يَتَضَرّعُونَ.

19401- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن عِلباء بن أحمر, عن عِكرمة, عن ابن عباس: أن ابن أُثالٍ الحنفيّ لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أسير, فخلّى سبيله, فلحق بمكة, فحال بين أهل مكة وبين المِيرة من اليمامة, حتى أكلت قريش العِلْهِزَ, فجاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: ألست تزعم بأنك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بَلَى» فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله: وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ... الآية.

19402- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: أخبرنا عمرو, قال: قال الحسن: إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فإنما هي نقمة, فلا تستقبلوا نقمة الله بالحَمِيّة ولكن استقبلوها بالاستغفار, وتضرّعوا إلى الله. وقرأ هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ وَما يَتَضَرّعونَ.

19403- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: وَلَقَد أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ قال: الجوع والجدب. فَمَا اسْتَكانُوا لرَبّهِمْ فصبروا. وما اسْتَكانُوا لرَبّهِم وَما يَتَضَرّعُونَ.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

19404- حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: حتى إِذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قد مضى, كان يوم بدر.

حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس مثله.

19405- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: حتى إِذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قال: يوم بدر.

وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضرّ, وهو الباب ذو العذاب الشديد. ذكر من قال ذلك:

19406- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: حتى إِذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قال: لكفار قريش الجوع, وما قبلها من القصة لهم أيضا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه, إلاّ أنه قال: وما قبلها أيضا.

وهذا القول الذي قاله مجاهد: أولى بتأويل الآية, لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس, أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم, وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شكّ أنه كان بعد وقعة بدر.

وقوله: إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حَزَانَى نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله, في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِيَ أَنْشَأَ لَكُمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذّبون بالبعث بعد الممات, السمع الذي تسمعون به, والأبصار التي تبصرون بها, والأفئدة التي تفقهون بها, فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء عادته بعد عدمه وفقده, وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد. قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ يقول: تشكرون أيها المكذّبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحْشَرون من بعد مماتكم, ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللّيْلِ وَالنّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطَفا أمواتا, بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها. ويُمِيتُ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم. وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللّيْلِ والنّهارِ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين, كما يقال في الكلام: لك المنّ والفضل, بمعنى: إنك تَمُنّ وتُفْضِلْ. وقوله: أفَلا تَعْقِلُونَ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

الآية : 81 - 82

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الأوّلُونَ * قَالُوَاْ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تَدَبّروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كلّ ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم. قالُوا أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا وَعِظاما يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا, أئِنّا لَمَبْعُوثُونَ يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَآؤُنَا هَـَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـَذَآ إِلاّ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد, ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك, فلم نره حقيقة أن هذا يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات إلاّ أساطِيرُ الأوّلِينَ يقول: ما سطّره الأوّلون في كتبهم من الأحاديث والأخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة.

الآية : 84 - 85

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّمَنِ الأرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون مَنْ مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا, دون سائر الأشياء غيره. قُلْ أفَلا تَذَكّرُونَ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويّا بعد فنائهم؟

الآية : 86 - 87

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَن رّبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَرَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: من ربّ السموات السبع, وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله, وهو ربه. فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: سَيَقُولُونَ لِلّهِ فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق والشام: سَيَقُولُونَ لِلّهِ سوى أبي عمرو, فإنه خالفهم فقرأه: «سَيَقُولُونَ اللّهُ» في هذا الموضع, وفي الآخر الذي بعده, اتباعا لخط المصحف, فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار إلاّ في مصحف أهل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البصرة, فإنه في الموضعين بالألف, فقرءوا بالألف كلّها اتباعا لخط مصحفهم. فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك, لأنهم أجروا الجواب على الابتداء وردّوا مرفوعا على مرفوع. وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم؟ سيقولون ربّ ذلك الله. فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك. وأما الذين قرءوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف, فإنهم قالوا: معنى قوله قُلْ مَنْ رَبّ السّمَوَاتِ لمن السموات؟ لمن ملك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى, فقيل: لله لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول قائل لرجل: مَن مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل, فيقول: أنا لفلان لأنه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله: مولاي فلان. وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده:

وأعْلَمُ أنّنِي سأكُونُ رَمْساإذَا سارَ النّوَاجِعُ لا يَسِيرُ
فَقالَ السّائِلُونَ لَمِنْ حَفَرْتُمْفَقالَ المُخْبِرُونَ لَهُمْ: وَزِيرُ

فأجاب المخفوض بمرفوع, لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ.

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القرّاء, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف, لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة.

الآية : 88 - 89

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّىَ تُسْحَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا امحمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟ كما:

19407- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ قال: خزائن كلّ شيء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن مجاهد, في قول الله: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ قال: خزائن كلّ شيء.

وقوله: وَهُوَ يُجِيرُ من أراد ممن قصده بسوء. وَلا يُجارُ عَلَيْهِ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه. إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ من ذلك صفته, فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله. فقل لهم يا محمد: فَأنّى تُسْحَرُونَ يقولون: فمن أيّ وجه تُصْرَفون عن التصديق بآيات الله والإقرار بأخباره وأخبار رسوله والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم, مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟

وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقول في معنى قوله تُسْحَرُونَ ما:

19408- حدثني به عليّ, قال: حدثنا عبد الله قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَأنّى تُسْحَرُونَ يقول: تكذبون.

وقد بيّنت فيما مضى السّحْر: أنه تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته, فذلك معنى قوله: فَأنّى تُسْحَرُونَ إنما معناه: فمن أيّ وجه يُخَيلّ إليكم الكذب حقّا والفاسد صحيحا, فتصرفون عن الإقرار بالحقّ الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 90 - 92

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقّ وَإِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لّذَهَبَ كُلّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمّا يَصِفُونَ * عَـالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَتَعَالَىَ عَمّا يُشْرِكُونَ }.

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن الملائكة بناتُ الله وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله. بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقّ اليقين, وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم, وذلك الإسلام, ولا يُعْبَد شيء سوى الله لأنه لا إله غيره. وإنّهُمْ لَكَاذِبُونَ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ويَنْحَلُونه من الولد والشريك.

وقوله: ما اتّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد, ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع الأشياء مَنْ تصلح عبادته, ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء مَنْ تصلح عبادته مِنْ إلهٍ إذا لَذَهَب يقول: إذن لاعتزل كلّ إله منهم بِما خَلَقَ من شيء, فانفرد به, ولتغالبوا, فلَعَلا بعضهم على بعض, وغلب القويّ منهم الضعيف لأن القويّ لا يرضى أن يعلُوَه ضعيف, والضعيف لا يصلح أن يكون إلها. فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله: إذا لَذَهَبَ جواب لمحذوف, وهو: لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق اجتزىء بدلالة ما ذكر عليه عنه, وقوله: سُبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفُونَ يقول تعالى ذكره: تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا, وعما قالوه من أن له شريكا, أو أن معه في القدم إلها يُعبد, تبارك وتعالى.

وقوله: عالِمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء, فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه, وما رأوه وشاهدوه. إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة, أنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلون مخطئون, فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم, بل عن جهل منهم به وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم, الله الذي لا يخفى عليه شيء, فخبره هو الحق دون خبرهم. وقال: عالِمُ الغَيْب فرفع على الابتداء, بمعنى: هو عالم الغيب, ولذلك دخلت الفاء في قوله: فَتَعالَى كما يقال: مررت بأخيك المحسنُ فأحسنت إليه, فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء, لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن, فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقيل: وأحسنت إليه, لم يكن وجه الكلام في «المحسن» إلاّ الخفض على النعت للأخ, ولذلك لو جاء «فتعالى» بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله, وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله: «وتعالى» حينئذٍ معطوفا على «سبحان الله». وقد يجوز الخفض مع الفاء, لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء, كابتدائها بالواو. وبالخفض كان يقرأ: عَالِمِ الغَيْب في هذا الموضع أبو عمرو, وعلى خلافه في ذلك قَرَأَة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع, لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القرّاء عليه, والثاني: صحته في العربية.

وقوله: فَتَعالَى عَمّا يُشْرِكُونَ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين, ووصفهم إياه بما يصفون.

الآية : 93 - 95

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل رّبّ إِمّا تُرِيَنّي مَا يُوعَدُونَ * رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظّالِمِينَ * وَإِنّا عَلَىَ أَن نّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرِيَنّي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به. ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: فَلا تَجْعَلْني جواب لقوله: إما تُرِيَنّي اعترض بينهما بالنداء, ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام, لا يقال: يا زيد فقم, ولا يا ربّ فاغفر, لأن النداء مستأنف, وكذلك الأمر بعده مستأنف, لا تدخله الفاء والواو, إلاّ أن يكون جوابا لكلام قبله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: وَإِنّا عَلى أنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرونَ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم, لقادرون, فلا يَحْزُنَنّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به, وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله.

الآية : 96 - 98

القول في تأويل قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رّبّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّياطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبّ أَن يَحْضُرُونِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخَلّة التي هي أحسن, وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم, وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم. وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله, يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19409- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ السّيّئَةَ قال: أعرض عن أذاهم إياك.

19410- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجَزَريّ, عن مجاهد: ادْفَعْ بالّتِي هَيَ أحْسَنُ السّيّئَةَ قال: هو السلام, تُسَلّم عليه إذا لقيته.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن عبد الكريم, عن مجاهد, مثله.

19411- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذَة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ السّيّئَةَ قال: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفَح عما يكره.

وقوله: نَحْنُ أعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به, وينحَلُونه من الأكاذيب والفِرية عليه, وبما يقولون فيك من السوء, ونحن مجازوهم على جميع ذلك, فلا يحزُنْك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: وَقُلْ رَبّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّياطِينِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد ربّ أستجير بك من خَنْق الشياطين وهمزاتها, والهَمْز: هو الغَمْز, ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزة, والهَمَزَات جمع همزة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19412- حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقُلْ رَبّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّياطِينِ قال: همزات الشياطين: خَنْقهم الناس, فذلك هَمَزاتهم.

وقوله: وأعُوذُ بِكَ رَبّ أنْ يَحْضُرُونِ يقول: وقل أستجير بك ربّ أن يحضرون في أموري. كالذي:

19413- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأعُوذُ بِكَ رَبّ أنْ يَحْضَرُونِ في شيء من أمرى.

الآية : 99 - 100

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبّ ارْجِعُونِ * لَعَلّيَ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاّ إِنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ, وعاين نزول أمر الله به, قال لعظيم ما يعاين مما يَقْدَم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات وتلهّفا على ما فرّط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للإقالة: رَبّ ارْجِعُونِ إلى الدنيا فردّوني إليها, لَعَلّي أعْمَلُ صَالِحا يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرّطت فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19414- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, قال: كان محمد بن كعب القُرَظيّ يقرأ علينا: حتى إذَا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبّ ارْجِعُون قال محمد: إلى أيّ شيء يريد؟ إلى أيّ شيء يرغب؟ أجمع المال, أو غَرْس الغِراس, أو بَنْي بُنيان, أو شقّ أنهار؟ ثم يقول: لَعَلّي أعْمَلُ صَالِحا فِيما تَرَكْتُ يقول الجبار: كلاّ.

19415- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: رَبّ ارْجِعُونِ قال: هذه في الحياة الدنيا, ألا تراه يقول: حتى إذَا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قال: حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة, قبل أن يذوق الموت.

19416- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة: «إذَا عايَنَ المُؤْمِنُ المَلائِكَةَ قالُوا: نُرْجِعُكَ إلى الدّنْيا؟ فَيَقَولُ: إلى دار الهُمُومِ وَالأحْزَانِ؟ فَيَقُولُ: بَل قَدّمانِي إلى اللهِ. وأمَا الكافِرُ فَيُقالُ: نُرْجِعُكَ؟ فيَقُولُ: لَعَلّي أعْمَلُ صَالِحا فِما تَرَكْتُ»... الآية.

19417- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتّى إذَا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ ربّ ارْجِعُونِ: يعني أهل الشرك.

وقيل: «رب ارجعون», فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى, ثم قيل: «ارجعون», فصار إلى خطاب الجماعة, والله تعالى ذكره واحد. وإنما فعل ذلك كذلك, لأن مسألة القوم الردّ إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين يَقبِضون روحهم, كما ذكر ابن جُرَيج أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله. وإنما ابتُدِيء الكلام بخطاب الله جلّ ثناؤه, لأنهم استغاثوا به, ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والردّ إلى الدنيا.

وكان بعض نحويّي الكوفة يقول: قيل ذلك كذلك, لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله: وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَكُ شَيْئا في غير مكان من القرآن, فجرى هذا على ذاك.

وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك لن يُرْجع إلى الدنيا ولن يُعاد إليها. إنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها يقول: هذه الكلمة, وهو قوله: رَبّ ارْجِعُونِ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها. كما:

19418- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كَلاّ إنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها لا بد له أن يقولها.

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجُز بينهم وبين الرجوع, يعني إلى يوم يبعثون من قبورهم, وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19419- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ يقول: أجل إلى حين.

19420- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ قال: ما بعد الموت.

19421- حدثني أبو حميد الحِمْصيّ أحمد بن المغيرة, قال: حدثنا أبو حَيْوة شريح بن يزيد, قال: حدثنا أرطاة, عن أبي يوسف, قال: خرجت مع أبي أمامة في جنازة, فلما وُضِعت في لحدها, قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يُبعثون.

19422- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا مطر, عن مجاهد, قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: ما بين الموت إلى البعث.

حدثني محمدبن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: حِجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.

19423- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: برزخ بقية الدنيا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

19424- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.

19425- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عُبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ }.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: فإذَا نُفِخَ في الصّور من النفختين أيُتهما عُنِيَ بها؟ فقال بعضهم: عُنِيَ بها النفخة الأولى. ذكر من قال ذلك:

19426- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, قال: حدثنا عمرو بن مطرف, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جُبير, أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ... الآية, وقال في آية أخرى: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ فذلك في النفخة الإولى, فلا يبقى على الأرض شيء, (فلا أنْساب بَينَمْ يَومَئذ ولا يَيَساءلون1.فإنهم لما دخلوا الجنة أقيل بعضهم على بعض يتساءلون:

وأما قوله: وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يتساءلون

19427- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, في قوله: فإذَا نُفِخَ في الصُورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ قال: في النفخة الأولى.

19428- حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وعلا يَتَساءَلُونَ فذلك حين ينفخ في الصور, فلا حيّ يبقى إلا الله. وَأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ فذلك إذا بُعثوا في النفخة الثانية.

قال أبو جعفر: فمعنى ذلك على هذا التأويل: فإذا نفخ في الصور, فصَعِق مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض إلا مَنْ شاء الله, فلا أنساب بينهم يومئذٍ يتواصلون بها, ولا يتساءلون, ولا يتزاورون, فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك النفخة الثانية. ذكر من قال ذلك:

19429- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن هارون بن أبي وكيع, قال: سمعت زاذان يقول: أتيت ابن مسعود, وقد اجتمع الناس إليه في داره, فلم أقدر على مجلس, فقلت: يا أبا عبد الرحمن, من أجل أني رجل من العجم تَحْقِرُني؟ قال: ادْنُ قال: فدنوت, فلم يكن بيني وبينه جليس, فقال: «يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأوّلين والآخرين, قال: وينادِي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان, فمن كان له حقّ قبله فليأت إلى حقه, قال: فتفرح المرأة يومئذٍ أن يكون لها حقّ على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فَلا أنسْابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ.

19430- حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هارون بن عنترة, عن زاذان, قال: سمعت ابن مسعود يقول: «يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة, فينصب على رؤوس الأوّلين والآخرين, ثم ينادِي مناد, ثم ذكر نحوه, وزاد فيه: فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد: أعطِ هؤلاء حقوقهم فيقول: أي ربّ, فَنِيتِ الدنيا, فمن أين أعطيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طِلبته فإن كان له فضلُ مثقال حبة من خردل, ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة. ثم تلا ابن مسعود: إنّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرّةٍ وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْرا عَظِيما وإن كان عبدا شقيّا قالت الملائكة: ربنا, فنيت حسناتُه وبقي طالبون كثير, فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته, وصُكّوا له صَكّا إلى النار».

19431- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج: فإذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءلُونَ قال: لا يُسأل أحد يومئذٍ بنسب شيئا, ولا يتساءلون, ولا يمتّ إليه برحم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19432- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني محمد بن كثير, عن حفص بن المغيرة, عن قتادة, قال: ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافُه, مخافة أن يذوب له عليه شيء. ثم قرأ: يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ وأُمّهِ وأبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلّ امرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ.

19433- قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا الحكَم بن سِنان, عن سَدُوس صاحب السائريّ, عن أنس بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنّةِ الجَنّةِ وأهْلُ النّارِ النّارَ, نادَى مُنادٍ مِنْ أهْلِ العَرْشِ: يا أهْلَ التّظالُمِ تَدَارَكُوا مَظالِمَكُمْ وَادْخُلُوا الجَنّةَ».

الآية : 102 - 104

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَـئِكَ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: موازين حسناته وخفت موازين سيئاته. فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ يعني الخالدون في جنات النعيم. وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ يقول: ومن خفّت موازين حسناته, فرجَحَتْ بها موازين سيئاته. فَأُولَئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ يقول: غَبَوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله. في جَهَنّمَ خالِدُونَ يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارَ يقول: تَسْفَع وجوهَهم النار. كما:

19434- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ قال: تنفَح.

وَهُمْ فِيها كالِحُونَ والكُلوح: أن تتقلّص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان, كما قال الأعشي:

وَلَهُ المُقَدّمُ لا مِثْلَ لَهُساعَةَ الشّدْقُ عَنِ النّابِ كَلَحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهب النار فتُحْرقها, وهم فيها متقلصوا الشفاه عن الأسنان من إحراق النار وجوههم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19435- حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ يقول: عابسون.

19436- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص عن عبد الله, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقَلَصت شفتاه؟.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص عن عبد الله, قرأ هذه الآية: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ... الآية, قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قَلَصت شفتاه وبدت أسنانه؟.

19437- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُمْ فِيها كالِحُونَ قال: ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟.

الآية : 105 - 106

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىَ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذّبُونَ * قَالُواْ رَبّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنّا قَوْماً ضَآلّينَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا, فَكُنْتُمْ بِها تُكَذّبُونَ. وترك ذكر «يقال» لدلالة الكلام عليه. قالُوا رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: غَلَبَت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عَلَـيْنا شِقْوَتُنا بكسر الشين, وبغير ألف. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «شَقاوَتُنا» بفتح الشين والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان, وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19438- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد, قوله: غَلَبَتْ عَلَـيْنا شِقْوَتُنا قال: التي كتبت علينا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: غَلَبَتْ عَلَـيْنا شِقْوَتُنا التي كتبت علينا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19439- وقال: قال ابن جريج: «بلغنا أن أهل النار نادوا خَزَنة جهنم: أنُ ادْعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. قال: ثم نادوا مالكا: يا مالك ليقضِ علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة, ثم أجابهم فقال: إنّكُمْ ماكِثُونَ. ثم نادى الأشقياء ربهم, فقالوا: رَبّنا غَلَبَتْ عَلَـيْنا شِقْوَتُنا وكُنّا قَوْما ضَالّينَ رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا, ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى: اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلّمُونِ.

19440- قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: «ينادِي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله, ثم يقول: أجيبوهم وقد قطع الرّحِمَ والرحمة. فيقول أهل الجنة: يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار, لا لَبّـيْكم ولا سَعْدَيْكم ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم؟ فيقولون: بلى. فيقولون: أفِيضُوا عَلَـيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِما رَزَقَكُمُ اللهُ قالُوا إنّ اللهَ حَرّمَهُما عَلى الكافِرِينَ».

19441- قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: وثني عَبْدة المُرُوزِيّ, عن عبد الله بن المبارك, عن عمرو بن أبي ليلى, قال: سمعت محمد بن كعب, زاد أحدهما على صاحبه, قال محمد بن كعب: بلغني, أو ذُكر لي, أن أهل النار استغاثوا بالخَزَنة, ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردّوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادَوا: يا مالك وهو عليهم, وله مجلس في وسطها, وجسور تمرّ عليها ملائكة العذاب, فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا: يا مالك, ليقض علينا ربك سألوا الموت. فمكث لا يجيبهم ثمانين ألفَ سنة من سني الآخرة, أو كما قال. ثم انحطّ إليهم, فقال: إنّكُمْ ماكثونَ فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا, فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال: فصَبَروا, فطال صبرهم, فنادَوا: سَوَاءٌ عَلَـيْنا أجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ: أي مَنْجًى, فقام إبليس عند ذلك فخطبهم, فقال: إنّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ, وَوَعَدْتُكُمْ فَأخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لي عَلَـيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ, فلما سمعوا مقالتهم, مَقَتُوا أنفسهم, قال: فُنودوا: لَمَقْتُ اللهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ إذْ تُدْعُوْنَ إلى الأيمَانِ فَتَكْفُرُونَ قالُوا رَبّنا أمَتّنَا... الآية, قال: فيجيبهم الله فيها: ذَلِكُمْ بأنّهُ إذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فالحُكْمُ لِلّهِ العَلِيّ الكَبِيرِ. قال: فيقولون: ما أيسنا بعدُ قال: ثم دَعَوا مرّة أخرى, فيقولون: رَبّنا أبْصَرْنا وَسمِعْنا فارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِحا إنّا مُوقِنُونَ قال: فيقول الربّ تبارك وتعالى: وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلّ نَفْسٍ هُدَاها يقول الربّ: لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكنْ حَقّ القَوْلُ مِنّي لأَمْلأَنّ جَهَنّمَ مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ أجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا, إنّا نَسِيناكُمْ: أي تركناكم, وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. قال: فيقولون: ما أيسنا بعد قال: فيدعون مرّة أخرى: رَبّنا أخّرْنا إلى أجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتّبِعِ الرّسُلَ قال: فيقال لهم: أوَ لَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ... الآية, قال: فيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مرّة أخرى: رَبّنا أخْرِجْنا نَعْمَلْ صَالِحا غيرَ الّذِي كُنّا نَعْمَلُ, قال: فيقول: أوَ لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكّرَ وَجاءَكُمُ النّذِيرُ... إلى: نَصِيرٍ. ثم مكث عنهم ما شاء الله, ثم ناداهم: أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذّبُونَ فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك: رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا: أي الكتاب الذي كتب علينا وكُنّا قَوْما ضَالّينَ رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها... الآية, فقال عند ذلك: اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلّمُونِ قال: فلا يتكلمون فيها أبدا. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم, وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض, فأَطْبَقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.

19442- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, أنه قال: فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والإنجيل على عيسى, ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزّعيق في الخلد أبدا ليس له نفاد.

19443- قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, قال: كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارىء, فجلسنا, فتنحى أبو جعفر, فبكى, فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون.

وقوله: وكُنّا قَوْما ضَالّينَ يقول: كنا قوما ضَلَلْنا عن سبيل الرشاد وقصد الحقّ.

الآية : 107 - 108

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجا من النار, فإن عدنا لما تكره منا من عمل فإنا ظالمون.

وقوله: قالَ اخْسَئُوا فِيها يقول تعالى ذكره: قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا: اخْسَئُوا فِيها أي اقعدوا في النار. يقال منه: خَسَأتُ فلانا أخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءا, وخَسىء هو يخسَأ وما كان خاسئا ولقد خِسىء. وَلا تُكَلّمُونِ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما:

19444- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ, قال: حدثنا سفيان, عن سَلَمة بن كُهَيل, قال: ثني أبو الزعراء, عن عبد الله, في قصة ذكرها في الشفاعة, قال: فإذا أراد الله ألاّ يُخْرج منها يعني من النار أحدا, غير وجوههم وألوانها, فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم, فيقول: يا ربّ فيقول: من عرف أحدا فليخرجه قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا, فيقول: يا فلان يا فلان فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ فيقول: اخْسَئُوا فيها وَلا تُكَلّمُونِ فإذا قالوا ذلك, انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

19445- حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن الأعمش, عن عمرو بن مُرّة, عن شَهر ابن حَوشب, عن معدي كرب, عن أبي الدّرْداء, قال: يُرْسل أو يصبّ على أهل النار الجوع, فيعدل ما هم فيه من العذاب, فيستغيثون فيغاثون بالضّريع الذي لا يُسْمِن ولا يُغنِي من جوع, فلا يغني ذلك عنهم شيئا. فيستغيثون, فيغاثون بطعام ذي غُصّة, فإذا أكلوه نَشِب في حلوقهم, فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون الغصة بالماء. فيستغيثون, فيرفع إليهم الحميم في كلاليب الحديد, فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم, فإذا شربوه قطع أمعاءهم. قال: فينادون مالكا: لِيَقْضِ علينا ربك قال: فيتركهم ألف سنة, ثم يجيبهم: إنكم ماكثون. قال: فينادون خَزَنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا: أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى. قالوا: فادعوا, وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال: فيقولون ما نجد أحدا لنا من ربنا, فينادون ربهم: رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ. قال: فيقول الله: اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلّمُونِ. قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير, فيدْعُون بالويل والشّهيق والثّبور.

19446- حدثني محمد بن عُمارة الأسديّ, قال: حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعيّ, قال: حدثنا قُطْبة بن عبد العزيز الأسديّ, عن الأعمش, عن شمر بن عطية, عن شهر بن حوشب, عن أمّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدرداء, عن أبـي الدرداء, قـال: قـال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: «يُـلْقَـى عَلـى أهْلِ النّارِ الـجُوعُ»... ثم ذكر نـحوا منه.

19447- حدثنا ابن حميد,قال: حدثنا يعقوب القُمّى, عن هارون بن عنترة, عن عمرو بن مَرّة, قال: يرى أهل النار فـي كل سبعين عاما ساق مالك خازن النار, فيقولون: يا مالِكُ لِـيَقْضِ عَلَـيْنا رَبّكَ فيجيبهم بكلـمة. ثم لا يرونه سبعين عاما, فيستغيثون بـالـخَزَنة, فـيقولون لهم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فـيجيبونهم: أوَ لَـمْ تَكُ تَأْتِـيكُمْ رُسُلُكُمْ بـالبَـيّناتِ... الآية. فـيقولون: ادعوا ربكم, فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون: رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِـمُونَ. قـال: فـيجيبهم: اخْسَئُوا فـيها وَلا تُكَلّـمُونِ. فعند ذلك يـيأسُون من كلّ خير, ويأخذون فـي الشهيق والوَيْل والثّبور.

19448- حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: اخْسَئُوا فـيها وَلا تُكِلّـمُونِ قال: بلغنـي أنهم ينادُون مالكا فـيقولون: لـيقض علـينا ربك فـيسكت عنهم قدر أربعين سنة, ثم يقول: إنّكُمْ ماكِثُونَ. قـال: ثم ينادُون ربهم, فـيسكت عنهم قدر الدنـيا مرّتـين, ثم يقول: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلّـمُونِ. قال: فـيـيأس القوم, فلا يتكلـمون بعدها كلـمة, وكان إنـما هو الزفـير والشهيق. قال قتادة: صوت الكافر فـي النار مثل صوت الـحمار: أوّله زفير, وآخره شهيق.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19449- حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الله بن عيسى, قـال: أخبرنـي زياد الـخراسانـيّ, قـال: أسنده إلـى بعض أهل العلـم, فنسيته, فـي قوله: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلّـمُونَ قال: فـيسكتون, قال: فلا يسمع فـيها حِس إلا كطنـين الطّسْت.

19450- حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: اخْسَئُوا فِـيها وَلا تُكَلّـمُونِ هذا قول الرحمن عزّ وجلّ, حين انقطع كلامهم منه.

الآية : 109

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّهُ كَانَ فَرِيقٌ مّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبّنَآ آمَنّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: إنّهُ وهذه الهاء فـي قولـه «إنـه» هـي الهاء التـي يسميها أهل العربـية الـمجهولة. وقد بـينت معناها فـيما مضى قبلُ, ومعنى دخولها فـي الكلام, بـما أغنـى عن إعادتـه فـي هذا الـموضع. كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبـادِي يقول: كانت جماعة من عبـادي, وهم أهل الإيـمان بـالله, يقولون فـي الدنـيا: رَبّنا آمَنّا بك وبرسلك, وما جاءوا بـه من عندك. فـاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَارْحَمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء, فلا تعذّبنا بعذابك.

الآية : 110 - 111

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَاتّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتّىَ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوَاْ أَنّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: فـاتـخذتـم أيها القائلون لربهم رَبّنـا غَلَبَتْ عَلَـيْنا شِقْوَتُنا وكُنـا قَوْمـا ضَالّـينَ فـي الدنـيا, القائلـين فـيها رَبنـا آمَنّـا فـاغْفِرْ لَنـا وَارْحمْنـا وأنْـتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ سُـخْرِيّا. والهـاء والـميـم فـي قوله: فـاتّـخَذْتُـمُوهُمْ من ذكر الفريق.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: سُخْرِيّا فقرأه بعض قرّاء الـحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة: فـاتّـخَذْتُـمُوهُمْ سِخْرِيّا بكسر السين, ويتأوّلون فـي كسرها أن معنى ذلك الهزء, ويقولون: إنـها إذا ضُـمت فمعنى الكملـة: السّـخْرة والاستعبـاد. فمعنـى الكلام علـى مذهب هؤلاء: فـاتـخذهم أهل الإيـمان بـي فـي الدنـيا هُزُؤًا ولعبـا, تهزءون بهم, حتـى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قرّاء الـمدينة والكوفة: «فـاتّـخذْتُـمـوهُمْ سُـخْرِيّا بضم السين, وقـالوا: معنى الكلـمة فـي الضمّ والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِـجّيّ ولُـجّيّ, ودِرِيّ, ودُرّيّ, منسوب إلـى الدرّ, وكذلك كِرسيّ وكُرسيّ وقالوا ذلك من قيـلهم كذلك: نظير قولهم فـي جمع العصـا: العِصِـيّ بكسر العين, والعُصّي بضمها قالوا: وإنـما اخترنا الضمّ فـي السّخريّ, لأنه أفصح اللغتين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد, قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء ذلك فمصيب. وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت, لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حَكَيت عنه.

ذكر الرواية به عن بعض من فرّق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة:

19451- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: فاتّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّا قال: هما مختلفتان: سِخريّا, وسُخريّا, يقول الله: وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سِخْرِيّا قال: هذا سِخريّا: يُسَخّرونهم, والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم «سُخريّا», فتلك «سِخريّا» يُسَخرونهم عندك, فسخّرك: رفعك فوقه والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي «سُخريّا» يَسْخَرون منهم, فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: كُلّما مَرّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إنْ تَسْخَرُوا مِنّا فإنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كمَا تَسْخَرُونَ وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح, «اتخذوهم سُخريّا»: اتخذوهم هُزُؤًا, لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: حتى أنْسَوكُمْ ذِكْرِي يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم, أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري, فألْهَاكم عنه. وكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ, كما:

19452- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حتى أنْسَوْكُمْ ذِكْرِي قال: أنسى هؤلاءِ اللهَ استهزاؤُهم بهم وضحكُهم بهم. وقرأ: إنّ الّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ حتى بلغ: إنّ هَؤُلاءِ لَضَالّونَ.

وقوله: إنّي جَزَيْتُهُمْ اليَوْمَ بِمَا صَبروا يقول تعالى ذكره: إني أيّها المشركون بالله المخّلدون في النار, جَزَيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريّا من أهل الإيمان بي, وكنتم منهم تضحكون. اليومَ بما صَبَرُوا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا. إنّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ.

اختلفت القرّاء في قراءة: «إنّهُمْ» فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: أنّهُمْ, بفتح الألف من «أنهم» بمعنى: جزيتهم هذا. فـ«أنّ» في قراءة هؤلاء: في موضع نصب بوقوع قوله: «جزيتهم» عليها, لأن معنى الكلام عندهم: إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة. وقد يحتمل النصب من وجه آخر, وهو أن يكون موجّها معناه إلى: إني جزيتهم اليوم بما صبروا, لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا على ما لَقُوا في ذات الله. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «إنّي» بكسر الألف منها, بمعنى الابتداء, وقالوا: ذلك ابتداء من الله مدحهم.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الألف, لأن قوله: «جزيتهم», قد عمل في الهاء والميم, والجزاء إنما يعمل في منصوبين, وإذا عمل في الهاء والميم لم يكن له العمل في «أن» فيصير عاملاً في ثلاثة إلا أن يُنْوَى به التكرير, فيكون نصب «أنّ» حينئذٍ بفعل مضمر لا بقوله: «جزيتهم», وإن هي نصبت بإضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة, إنما هو على ما سَلَف من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤه إياهم وذلك في الآخرة هو الفوز, فلا معنى لأن يَشْرُط لهم الفوز بالأعمال ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون.

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها, في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا, بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها.)

الآية : 112 - 113

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَآدّينَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِينَ, وفي قوله: لَبِثْنا يَوما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر: قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ, وكذلك قوله: قالَ إنْ لَبِثْتُمْ. ووجّه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أهل النار وهم في النار: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِينَ وأنهم أجابوا الله فقالوا: لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ, فنسي الأشقياء, لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب, مدة مكثهم التي كانت في الدنيا, وقَصُر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها, لما حلّ بهم من نقمة الله, حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم, ولعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة.

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة على وجه الأمر لهم بالقول, كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الأرض؟ وأخرج الكلام مُخْرج الأمر للواحد والمعنيّ به الجماعة, إذ كان مفهوما معناه. وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لأن ذلك في مصاحفهم: «قُلْ» بغير ألف, وفي غر مصاحفهم بالألف.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك: قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ على وجه الخبر, لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا, أن يكون «قُولوا» على وجه الخطاب للجمع لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار, فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله: «قولوا» لو كان الكلام جاء على وجه الأمر, وإن كان الآخر جائزا, أعني التوحيد, لما بيّنت من العلة لقارىء ذلك كذلك, وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القرّاء, كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه, إذْ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب. فإذا كان ذلك ذلك, فتأويل الكلام: قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين؟ قالوا مجيبين له: لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين, لأنا لا ندري, قد نسينا ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالعادّين, فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويُحْصُون عليهم ساعاتهم. ذكر من قال ذلك:

19453- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فاسأَلِ العادّينَ قال: الملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل هم الحُسّاب. ذكر من قال ذلك:

19454- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: فاسأَلِ العادّينَ قال: فاسأل الحُسّاب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: فاسأَلِ العادّينَ قال: فاسأل أهل الحساب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: فاسأَلِ العادّينَ وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك. وجائز أن يكونوا الملائكة, وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم, ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض.

الآية : 114 - 115

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِن لّبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً لّوْ أَنّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: قالَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ قَلِيلاً اختلافهم في قراءة قوله: قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ. والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيّناه قبلُ في قوله: كَمْ لَبِثْتُمْ. وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقوله: أفَحَسِبْتُمْ أنّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثا يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلاً, وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: لا تُرْجَعُونَ بضمّ التاء: لا تُردّون, وقالوا: إنما هو من مَرْجِع الآخرة لا من الرجوع إلى الدنيا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «لا تَرْجِعُونَ» وقالوا: سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع إلى الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى لأن من ردّه الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رَجَعَ إليها, وأن من رجع إليها فبردّ الله إياه إليها رجع. وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: أفَحَسِبْتُمْ أنّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19455- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: أفَحَسِبْتُمْ أنّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثا قال: باطلاً.

الآية : 116

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقّ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحقّ عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا, وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات. لا إلَهَ إلاّ هُوَ يقول: لا معبود تنبغي له العبودة إلا الله الملك الحقّ ربّ العَرْشِ الكَرِيمِ والربّ: مرفوع بالردّ على الحقّ, ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ, ربّ العرش الكريم, لا إله إلا هو.

الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّهِ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر, لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة. كما:

19456- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ قال: بينة.

19457- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ قال: حُجة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد, في قوله: لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ قال: لا حجة.

وقوله: فإنّمَا حِسابُهُ عِنْدَ رَبّهِ يقول: فإنما حساب عمله السّيّىء عند ربه, وهو مُوَفّيه جزاءه إذا قدم عليه. إنّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَقُل رّبّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما احترمت. وأنْتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ يقول: وقل أنت يا ربّ خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

سورة النور

مدنية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وآياتها أربع وستون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ آيَاتٍ بَيّنَاتٍ لّعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: سُورَةٌ أنْزَلْناها وهذه السورة أنزلناها. وإنما قلنا معنى ذلك كذلك, لأن العرب لا تكاد تبتدىء بالنكرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا, لأنها توصل كما يوصل «الذي», ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة, فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة, إذ كان يصير خبرها إذا ابتدىء بها كالصلة لها, ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد إذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها. وإذا ابتدىء بالخبر عنها قبلها, لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم. وقد بيّنا فيما مضى قبلُ أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: وَفَرَضْناها فإن القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأه بعض قرّاء الحجاز والبصرة: «وَفَرّضْناها» ويتأوّلونه: وفصّلناها ونزّلنا فيها فرائض مختلفة. وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوّله.

19458- حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا ابن مهديّ, عن عبد الوارث بن سعيد, عن حميد, عن مجاهد, أنه كان يقرؤها: «وَفَرّضْناها» يعني بالتشديد.

19459- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: «وَفَرّضْناها» قال: الأمر بالحلال, والنهى عن الحرام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

وقد يحتمل ذلك إذا قرىء بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد, وهو أن يوجه إلى أن معناه: وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والشأم: وَفَرَضْناها بتخفيف الراء, بمعنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبيّنا ذلك لكم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذلك أن الله قد فصلها, وأنزل فيها ضروبا من الأحكام, وأمر فيها ونهى, وفرض على عباده فيها فرائض, ففيها المعنيان كلاهما: التفريض, والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارىء فمصيب الصواب. ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الفَرْض والبيان من أهل التأويل:

19460- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَفَرَضْناها يقول: بيناها.

19461- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سُورَةٌ أنْزَلْناها وَفَرَضْناها قال: فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها. وقرأ فيها: آياتٍ بَيّناتٍ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ.

وقوله: وأنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيّناتٍ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ بينات, يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله, فإنها الحقّ المبين, وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم.

19462- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُريج: وأنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيّناتٍ قال: الحلال والحرام والحدود. لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها.

الآية : 2

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: {الزّانِيَةُ وَالزّانِي فَاجْلِدُواْ كُلّ وَاحِدٍ مّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مّنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: من زنى من الرجال أو زنت من النساء, وهو حُرّ بِكرٌ غير مُحْصَن بزوج, فاجلدوه ضربا مئة جلة عقوبة لِما صنع وأتى من معصية الله. وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينَ اللهِ يقول تعالى ذكره: لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة, وهي رقة الرحمة في دين الله, يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدّ عليهما على ما ألزمكم به.

واختلف أهل التأويل في المنهيّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما, فقال بعضهم: هو ترك إقامة حدّ الله عليهما, فأما إذا أقيم عليهما الحدّ فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله. ذكر من قال ذلك:

19463- حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة, عن نافع بن عمر, عن ابن أبي مُلَيكة, عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر, قال: جَلَد ابن عمر جارية له أحدثت, فجلد رجليها قال نافع: وحسبت أنه قال: وظهرها فقلت: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ فقال: وأخذتني بها رأفة, إن الله لم يأمرني أن أقتلها.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول: ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر, أن عبد الله بن عمر حدّ جارية له, فقال للجالد, وأشار إلى رجلها وإلى أسفلها, قلت: فأين قول الله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ قال: أفأقتلها؟.

19464- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ فقال: أن تقيم الحدّ.

19465- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ابن جُرَيج: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ قال: لا تضيعوا حدود الله.

قال ابن جُرَيج: وقال مجاهد: لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ: لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها. وقالها عطاء بن أبي رباح.

19466- حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا عبد الملك وحجاج, عن عطاء: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ قال: يقام حدّ الله ولا يعطل, وليس بالقتل.

19467- حدثنا ابن المثّنى, قال: ثني محمد بن فضيل, عن داود, عن سعيد بن جبير, قال: الجلد.

19468- حدثني عبيد بن إسماعيل الهَبّاريّ, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن المغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ في دينِ الله قال: الضرب.

19469- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت عمران, قال: قلت لأبي مجلز: الزّانِيَةُ وَالزّاني فاجْلِدُوا كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُما... إلى قوله: واليَوْمِ الآخِرِ إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدّا, أو تقطع يده. قال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحدّ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ في دِينِ اللهِ قال لا تقام الحدود.

19470- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما.

19471- قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن لَهِيعة, عن خالد بن أبي عمران, أنه سأل سليمان بن يسار, عن قول الله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ الله أي في الحدود أو في العقوبة؟ قال: ذلك فيهما جميعا.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِيّ, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء في قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ في دِينِ اللهِ قال: أن يقام حدّ الله ولا يعطّل, وليس بالقتل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19472- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر في قوله: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ في دين الله قال: الضرب الشديد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَلا تَأْخُذْكُمْ بهما رأفَةٌ فتُخَفّفوا الضرب عنهما, ولكن أو جعوهما ضربا. ذكر من قال ذلك:

19473- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكر, قال: حدثنا أبو جعفر, عن قَتادة, عن الحسن وسعيد ابن المسيب: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ قال: الجلد الشديد.

19474- قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن حماد, قال: يُحَدّ القاذف والشارب وعليهما ثيابهما. وأما الزاني فتخلع ثيابه. وتلا هذه الآية: وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ فقلت لحماد: أهذا في الحكم؟ قال: في الحكم والجلد.

19475- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, قال: يجتهد في حدّ الزاني والفرية, ويخفف في حدّ الشرب. وقال قَتادة: يخفف في الشراب, ويجتهد في الزاني.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب, لدلالة قول الله بعده: «في دين الله», يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحدّ عليهما, على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة, مع أن الشدّة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه, وكلّ ضرب أوجع فهو شديد, وليس للذي يوجع في الشدّة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأموربه إلى معرفته. وإذا كان ذلك كذلك, فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجَلد على ما أمر به, وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرأفة لغتان: الرأفة بتسكين الهمزة, والرآفة بمدّها, كالسأمة والسآمة, والكأْبة والكآبة. وكأنّ الرأفة المرّة الواحدة, والرآفة المصدر, كما قيل: ضَؤُل ضآلة مثل فَعُل فعالة, وقَبُح قباحة.

وقوله: إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِيقول: إن كنتم تصدّقون بالله ر بكم وباليوم الآخر, وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب, فإن من كان بذلك مصدّقا فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه. وقوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وليحضر جلد الزانيين البِكْرَين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفةٌ من المؤمنين. والعرب تسمي الواحد فما زاد. طائفة. مِنَ المُؤْمِنينَ يقول: من أهل الإيمان بالله ورسوله.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البِكْرين, فقال بعضهم: أقله واحد. ذكر من قال ذلك:

19476- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الطائفة: رجل.

حدثنا عليّ بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانيّ وابن القوّاس, قالا: حدثنا يحيى بن عيسى, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: الطائفة رجل. قال عليّ: فما فوق ذلك وقال ابن القوّاس: فأكثر من ذلك.

حدثنا عليّ, قال: حدثنا زيد, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الطائفة: رجل.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: قال ابن أبي نجيح: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال مجاهد: أقله رجل.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مجاهد, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: الطائفة: الواحد إلى الألف.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد في هذه الآية: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِن المُؤْمِنينَ قال: الطائفة واحد إلى الألف وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19477- حدثنا ابن المثنى, قال: ثني وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد, قال: الطائفة: الرجل الواحد إلى الألف, قال: وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما: إنما كانا رجلين.

19478- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: سمعت عيسى بن يونس, يقول: حدثنا النعمان بن ثابت, عن حماد وإبراهيم قالا: الطائفة: رجل.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: الطائفة: رجل واحد فما فوقه.

وقال آخرون: أقله في في هذا الموضع رجلان. ذكر من قال ذلك:

19479- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: قال عطاء: أقله رجلان.

19480- حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال: ليحضر رجلان فصاعدا.

وقال آخرون: أقلّ ذلك ثلاثة فصاعدا. ذكر من قال ذلك:

19481- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن ابن أبي ذئب, عن الزهريّ, قال: الطائفة: الثلاثة فصاعدا.

19482- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: نفر من المسلمين.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, مثله.

19483- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص بن غياث, قال: حدثنا أشعث, عن أبيه, قال: أتيت أبا بَرْزة الأسلميّ في حاجة وقد أخرج جارية إلى باب الدار وقد زنت, فدعا رجلاً فقال: اضربها خمسين فدعا جماعة, ثم قرأ: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ.

19484- حدثنا أبو هشام الرفاعيّ, قال: حدثنا يحيى, عن أشعث, عن أبيه, أن أبا بَرْزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير مبرّح, قال: فألقى عليها ثوبا وعنده قوم, وقرأ: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما الآية.

وقال آخرون: بل أقلّ ذلك أربعة. ذكر من قال ذلك:

19485- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ قال: فقال: الطائفة التي يجب بها الحدّ أربعة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقلّ ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعدا وذلك أن الله عمّ بقوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا. فإذا كان ذلك كذلك, ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاصّ من العدد, كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما أمره الله به بقوله: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ. غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت, أستحبّ أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك إذا كان كذلك فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك, وهم فيما دون ذلك مختلفون.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {الزّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كنّ معروفات بالزنا من أهل الشرك, وكنّ أصحاب رايات, يُكْرِين أنفسهنّ, فأنزل الله تحريمهنّ على المؤمنين, فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوّج إلاّ زانية أو مشركة, لأنهنّ كذلك والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلاّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها, لأنهنّ كنّ مشركات. وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ فحرّم الله نكاحهنّ في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية. ذكر من قال ذلك:

19486- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: ثني الحضرميّ, عن القاسم بن محمد, عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً من المسلمين استأذن نبيّ الله في امرأة يقال لها أمّ مهزول, كانت تسافح الرجل وتشترط له أن تنفق عليه, وأنه استأذن فيها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها, قال: فقرأ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ أو قال: فأنزلت الزانية....

19487- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: ثني هُشَيم, عن التيميّ, عن القاسم بن محمد, عن عبد الله بن عمرو في قوله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً, وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء معلومات, قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه, فنهاهم الله عن ذلك.

19488- قال: أخبرنا سليمان التيمي, عن سعيد بن المسيب, قال: كنّ نساء موارد بالمدينة.

حدثنا أحمد بن المِقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي, قال: حدثنا قَتادة, عن سعيد بن المسيب في هذه الآية: وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: نزلت في نساء موارد كنّ بالمدينة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ, قال: حدثنا معتمر, عن أبيه, عن قَتادة, عن سعيد, بنحوه.

19489- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن رجل, عن عمرو بن شعيب, قال: كان لمرثَد صديقة في الجاهلية يقال لها عِناق, وكان رجلاً شديدا, وكان يقال له دُلْدُل, وكان يأتي مكة فيحمل ضَعَفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلقي صديقته, فدعته إلى نفسها, فقال: إن الله قد حرّم الزنا فقالت: أنّى تَبْرُز فخشي أن تشيع عليه, فرجع إلى المدينة, فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية, فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء معلومات يُدْعَوْن القليقيات.

19490- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن إبراهيم بن مهاجر, قال: سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: كنّ بغايا في الجاهلية.

19491- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن عبد الملك, عمن أخبره, عن مجاهد, نحوا من حديث ابن المثنى, إلاّ أنه قال: كانت امرأة منهنّ يقال لها: أمّ مهزول يعني في قوله: الزّانِي لا ينْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: فكنّ نساء معلومات, قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه, فنهاهم الله عن ذلك. هذا من حديث التيميّ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: الزّاني لا يَنْكحُ إلاّ زَانيَةً قال: رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمَات كنّ في الجاهلية, فقيل لهم هذا حرام, فأرادوا نكاحهن, فحرم الله عليهم نكاحهن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه, إلاّ أنه قال: بغايا مُعْلِنات كنّ كذلك في الجاهلية.

19492- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن هشام بن عروة, عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبيّ وابن أبي ذئب, عن شعبة, عن ابن عباس, قال: كنّ بغايا في الجاهلية, على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها.

19493- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن قيس بن سعد, عن عطاء بن أبي رباح, عن ابن عباس, قال: نساء بغايا متعالمَات, حرّم الله نكاحهنّ, لا ينكحهنّ إلاّ زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19494- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الزّانِي لا يَنْكحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنينَ قال: كانت بيوتٌ تسمى المواخير في الجاهلية, وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ, وكانت بيوتا معلومة للزنا, لا يدخل عليهنّ ولا يأتيهنّ إلاّ زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان, فحرّم الله ذلك على المؤمنين.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, في قوله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: بغايا متعالمَات كنّ في الجاهلية بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان, فأنزل الله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام. فقال له سليمان بن موسى: أبلغك ذلك عن ابن عباس؟ فقال: نعم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك: كنّ بغايا متعالمَات بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان, وكنّ زواني مشركات, فقال: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ قال: أحَكَم الله من أمر الجاهلية بهذا. قيل له: أبلغك هذا عن ابن عباس؟ قال: نعم.

قال ابن جريج: وقال عكرِمة: إنه كان يسمّي تسعا بعد صواحب الرايات, وكنّ أكثر من ذلك, ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزوميّ, وأمّ عُلَيط جارية صفوان بن أمية, وحنّة القبطية جارية العاصي بن وائل, ومَرِيّة جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار, وحلالة جارية سهيل بن عمرو, وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي, وسريفة جارية زمعة بن الأسود, وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤيّ, وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر.

19495- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, وقال الزهري وقتادة, قالوا: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ, فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ, فأنزل الله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ... الآية.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن نجيح, عن مجاهد, وقاله الزهريّ وقتادة, قالوا: كانوا في الجاهلية بغايا, ثم ذكر نحوه.

19496- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن القاسم بن أبي بَزّة: كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مَأْكلة, فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة, فُنهوا عن ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, قال: قال القاسم بن أبي بزّة, فذكر نحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا سليمان التيميّ, عن سعيد بن المسيب, قال: كنّ نساء مَواردَ بالمدينة.

19497- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان, عن سعيد بن جُبير: أن نساء في الجاهلية كنّ يُؤاجرن أنفسهنّ, وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضا, فنهوا عن ذلك, ونزل: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ ومنهنّ امرأة يقال لها أمّ مهزول.

19498- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيل, عن الشعبيّ, في قوله: الزّانِي لا يَنْكِح إلاّ زَانيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء يُكْرِين أنفسهنّ في الجاهلية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الزاني لا يزنى إلاّ بزانية أو مشركة, والزانية لا يزنى بها إلاّ زان أو مشرك. قالوا: ومعنى النكاح في هذا الموضع: الجماع. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19499- حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حُصَين, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: لا يزنى إلاّ بزانية أو مشركة.

19500- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يَعْلَى بن مسلم, عن سعيد بن جُبير أنه قال في هذه الآية: وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: لا يزنى الزاني إلاّ بزانية مثله أو مشركة.

19501- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن شُبْرُمة, عن سعيد بن جُبير وعكرمة في قوله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قالا: هو الوطء.

19502- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد, عن معمر, قال: قال سعيد بن جُبير ومجاهد: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قالا: هو الوطء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك بن مزاحم وشعبة, عن يعلى بن مسلم, عن سعيد بن جُبير, قوله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قالا: لا يزني الزاني حين يزني إلاّ بزانية مثله أو مشركة, ولا تزني مشركة إلاّ بمثلها.

19503- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: هؤلاء بغايا كنّ في الجاهلية, والنكاح في كتاب الله الإصابة, لا يصيبها إلاّ زان أو مشرك, لا يحرم الزنا, ولا تصيب هي إلاّ مثلها. قال: وكان ابن عباس يقول: بغايا كنّ في الجاهلية.

19504- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن قيس بن سعد, عن سعيد بن جُبير, قال: إذا زنى بها فهو زان.

19505- حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: الزاني من أهل القبلة لا يزنى إلاّ بزانية مثله أو مشركة. قال: والزانية من أهل القبلة لا تزنى إلاّ بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة. ثم قال: وَحُرّمَ ذلكَ على المُؤْمِنينَ.

وقال آخرون: كان هذا حكم الله في كلّ زان وزانية, حتى نسخه بقوله: وأنْكِحُوا الأيامَى منْكُمْ, فأحلّ نكاح كلّ مسلمة وإنكاح كلّ مسلم. ذكر من قال ذلك:

19506- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, في قوله: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ وحُرّم ذلكَ عَلى المُؤْمِنِينَ قال: يَرَوْن الآية التي بعدها نسختها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ قال: فهن من أيامى المسلمين.

حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ قال: نسختها التي بعدها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ وقال: إنهنّ من أيامى المسلمين.

19507- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: وذكر عن يحيى, عن ابن المسيب, قال: نسختها: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, قال: نسختها قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى.

حدثني يونس, قال: أخبرنا أنس بن عياض, عن يحيى, قال: ذكر عند سعيد بن المسيب: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً قال: فسمعته يقول: إنها قد نسختها التي بعدها. ثم قرأها سعيد, قال: يقول الله: الزّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ثم يقول الله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ فهنّ من أيامى المسلمين.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني بالنكاح في هذا الموضع الوطء, وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن الزانية من المسلمات حرام على كلّ مشرك, وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كلّ مشركة من عَبَدة الأوثان. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أنه لم يُعْنَ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلاّ بزانية أو مشركة. وإذ كان ذلك كذلك, فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلاّ بزانية لا تستحلّ الزنا أو بمشركة تستحلّه.

وقوله: وَحُرّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ يقول: وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله, وذلك هو النكاح الذي قال جلّ ثناؤه: الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين يَشْتُمون العفائف من حرائر المسلمين, فيرمونهنّ بالزنا, ثم لم يأتوا على ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عُدول يشهدون عليهنّ أنهنّ رأوهنّ يفعلن ذلك, فاجلدوا الذين رمَوْهنّ بذلك ثمانين جلدة, ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا, وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها.

وذُكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك. ذكر من قال ذلك:

19508- حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد, قالا: حدثنا ابن فضيل, عن خَصِيف, قال: قلت لسعيد بن جُبير: الزنا أشدّ, أو قذف المحصنة؟ قال: لا, بل الزنا. قلت: إن الله يقول: والّذِين يَرْمُونَ المُحْصَناتِ قال: إنما هذا في حديث عائشة خاصة.

19509- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... الآية في نساء المسلمين.

19510- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأُولَئكَ هُمُ الفاسقونَ قال: الكاذبون.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلاّ الّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنّ اللهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا منْ بَعْدِ ذَلكَ وأصْلَحُوا فقال بعضهم: استثنى من قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ وقالوا: إذا تاب القاذف قُبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق, حُدّ فيه أو لم يحدّ. ذكر من قال ذلك:

19511- حدثني أحمد بن حماد الدّولابيّ, قال: ثني سفيان, عن الزهري, عن سعيد إن شاء الله, أن عمر قال لأبي بكرة: إن تبت قبلت شهادتك, أو رَدَدْت شهادتك.

19512- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري, عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبلَ بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلَدة حَدّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل, ومن لم يفعل لم أجز شهادته. فأكذب شبلٌ نفسَه ونافع, وأبى أبو بكرة أن يفعل. قال الزهريّ: هو والله سُنّة فاحفظوه.

19513- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع, قال: حدثنا داود, عن الشعبيّ, قال: إذا تاب يعني القاذف ولم يعلم منه إلاّ خير, جازت شهادته.

حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا داود, عن الشعبي, قال: على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجَلْد, فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته, وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا داود, عن عامر, أنه قال في القاذف: إذا تاب وعلم منه خير إن شهادته جائزة, وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته, وتوبته إكذابه نفسه.

قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن الشعبيّ, نحوه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا داود بن أبـي هند, عن الشعبـيّ, قال فـي القاذف: إذا تاب وأكذب نفسه قُبلت شهادته, وإلا كان خـليعا لا شهادة له لأن الله يقول: لَوْلا جاءُوا عَلَـيْهِ بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلـى آخر الآية.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا داود بن أبـي هند, عن الشعبـيّ أنه كان يقول فـي شهادة القاذف: إذا رجع عن قوله حين يُضرب, أو أكذب نفسه, قُبلت شهادته.

قال: حدثنا هشيم, عن إسماعيل بن أبـي خالد, عن الشعبـي أنه كان يقول: يقبل الله توبته, وتردّون شهادته؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب.

قال: أخبرنا إسماعيل عن الشعبـيّ أنه كان يقول فـي القاذف: إذا شهد قبل أن يُضرب الـحدّ, قُبلت شهادته.

19514- قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبـيدة عن إبراهيم, وإسماعيل بن سالم عن الشعبـي, أنهما قالا فـي القاذف: إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة.

19515- حدثنـي يعقوب, قال: قال أبو بشر, يعنـي ابن عُلَـية, سمعت ابن أبـي نـجيح يقول: القاذف إذا تاب تـجوز شهادته. وقال: كنا نقوله. فقيـل له: من؟ قال: قال عطاء وطاوس ومـجاهد.

19516- حدثنا ابن بشار, وابن الـمثنى, قالا: حدثنا مـحمد بن خالد بن عَثْمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قتادة, عن عمر بن طلـحة, عن عبد الله, قال: إذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته. قال أبو موسى: هكذا قال ابن أبـي عَثْمة.

19517- حدثنا ابن بشار وابن الـمثنى, قالا: حدثنا ابن أبـي عَثْمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قَتادة, عن سلـيمان بن يسار والشعبـي قالا: إذا تاب القاذف عند الـجلد جازت شهادته.

19518- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: أن عمر بن عبد الله بن أبـي طلـحة جلد رجلاً فـي قذف, فقال: أَكْذِبْ نفسك حتـى تـجوز شهادتك

19519- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي الهيثم, قال: سمعت إبراهيم والشعبـيّ يتذاكران شهادة القاذف, فقال الشعبـيّ لإبراهيم: لِـم لا تقبل شهادته؟ فقال: لأنـي لا أدري تاب أم لا.

19520- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن مـجالد, عن الشعبـيّ, عن مسروق, قال: تُقبل شهادته إذا تاب.

19521- قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن يعقوب بن القعقاع, عن مـحمد بن زيد, عن سعيد بن جبـير, مثله.

19522- قال: حدثنا عبد الله بن الـمبـارك, عن ابن جُرَيج, عن عمران بن موسى, قال: شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, قال: قال الشعبـيّ: إذا تاب جازت شهادته, قال ابن الـمثنى. قال: عندي, يعنـي فـي القذف.

19523- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا مسعر, عن عمران بن عمير: أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب.

19524- حدثنـي يعقوب, قال: ثنـي هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: إذا تاب وأصلـح قُبلت شهادته يعنـي القاذف.

19525- حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: أخبرنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, عن ابن الـمسيب, قال: تقبل شهادة القاذف إذا تاب.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, عن ابن الـمسيب, مثله.

19526- حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد, عن معمر, قال: قال الزُهريّ: إذا حدّ القاذف, فإنه ينبغي للإمام أن يستتيبه, فإن تاب قُبلت شهادته, وإلاّ لـم تقبل. قال: كذلك فعل عمر بن الـخطاب بـالذين شهدوا علـى الـمغيرة بن شعبة, فتابوا إلاّ أبـا بكرة, فكان لا تقبل شهادته.

وقال آخرون: الاستثناء فـي ذلك من قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الفَـاسِقُون.

وأما قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا فقد وصل بـالأبد ولا يجوز قبولها أبدا. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19527- حدثنا ابن أبـي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا أشعث بن سوّار, قال: ثنـي الشعبـيّ, قال: كان شريح يجيز شهادة صاحب كلّ عمل إذا تاب إلاّ القاذف, فإن توبته فـيما بـينه وبـين ربه ولا نـجيز شهادته.

حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا أشعث بن سوار, قال: حدثنا الشعبـيّ, عن شُريح بنـحوه, غير أنه قال: صاحب كلّ حدّ إذا كان عدلاً يوم شهد.

19528- حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش, عن إبراهيـم, عن شريح, قال: كان لا يجيز شهادة القاذف, ويقول: توبته فـيما بـينه وبـين ربه.

19529- حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن مُطَرّف, عن أبـي عثمان, عن شريح فـي القاذف: يقبل الله توبته, ولا أقبل شهادته.

19530- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبـيّ, قال: أتاه خصمان, فجاء أحدهما بشاهد أقطع, فقال الـخصم: ألا ترى ما به؟ قال: قد أراه. قال: فسأل القوم, فأثنوا علـيه خيرا, فقال شريح: نـجيز شهادة كل صاحب حدّ, إذا كان يوم شهد عدلاً إلاّ القاذف, فإن توبته فـيما بـينه وبـين ربه.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبـيّ, قال: جاء خصمان إلـى شُرَيح, فجاء أحدهما ببـينة, فجاء بشاهد أقطع, فقال الـخصم: ألا ترى إلـى ما به؟ فقال شريح: قد رأيناه, وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا. ثم ذكر سائر الـحديث, نـحو حديث أبـي كريب.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا الشيبـانـيّ, عن الشعبـيّ, عن شريح أنه كان يقول: لا تُقبل له شهادة أبدا, توبته فـيما بـينه وبـين ربه يعنـي القاذف.

19531- قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا الأشعث, عن الشعبـيّ, بأن ربـابـا قطع رجلاً فـي قَطْعِ الطريق, قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلـح, فشهد عند شريح, فأجاز شهادته. قال: فقال الـمشهود علـيه: أتـجيز شهادته علـيّ وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حدّ إذا أقـيـم علـيه ثم تاب وأصلـح, فشهادته جائزة إلاّ القاذف.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا شعبة, قال الـمغيرة: أخبرنـي, قال: سمعت إبراهيـم يحدّث عن شريح, قال: قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا, توبته فـيما بـينه وبـين ربه. قال أبو موسى: يعنـي القاذف.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم, قال: قال شريح: لا يقبل الله شهادته أبدا.

19532- حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا حماد, عن قَتادة, عن سعيد بن الـمسيب, قال: لا تـجوز شهادة القاذف, توبته فـيما بـينه وبـين الله.

19533- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن الـحسن, أنه قال: القاذف توبته فـيما بـينه وبـين الله, وشهادته لا تُقبل.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو الولـيد, قال: حدثنا حماد, عن قَتادة, عن سعيد بن الـمسيب, قال: لا تـجوز شهادة القاذف, توبته فـيما بـينه وبـين الله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن الـحسن, أنه قال: القاذف توبته فـيما بـينه وبـين الله, وشهادته لا تُقبل.

19534- حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن إبراهيـم أنه قال فـي الرجل يُجْلَد الـحدّ, قال: لا تـجوز شهادته أبدا.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم: أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا, وتوبته فـيما بـينه وبـين الله يعنـي القاذف.

19535- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا معتـمر بن سلـيـمان, عن حجاج, عن عمرو بن شعيب, عن أبـيه, عن جدّه, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَـجُوزُ شَهادَةُ مَـحْدُودٍ فِـي الإسْلامِ».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19536- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا قال: كان يقول: لا تقبل شهادة القاذف أبدا, إنما توبته فيما بينه وبين الله. وكان شريح يقول: لا تُقبل شهادته.

19537- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا, ثم قال: فَمَنْ تابَ وأصْلَحَ فشهادته في كتاب الله تقبل.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الاستثناء من المعنيين جميعا, أعني من قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا, ومن قوله: وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ. وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك إذا لم يحدّ في القذف حتى تاب, إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقذوفة عنه, وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها. فإذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة.

فإذ كان من الجميع إجماعا, ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحدّ في رميه, بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ وسماه فيها فاسقا, كان معلوما بذلك أنّ إقامة الحدّ عليه في رميه, لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه, ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه, بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيرا من جُرمه الذي استحقّ عليه الحدّ.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً فتكون التوبة مُسقطة عنه الحدّ, كما كانت لشهادته عندك قبل الحدّ وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة؟ قيل: ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقذوفة كالقصاص الذي يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص. ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه, فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحدّ, لأن ذلك حقّ لها, إن شاءت عفته, وإن شاءت طالبت به. فتوبة العبد من ذنبه إنما تضع عن العبد الأسماء الذميمة والصفات القبيحة, فأما حقوق الآدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كلّ الأحوال فلا تزول بها ولا تبطل.

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف التي تقبل معها شهادته, فقال بعضهم: هو إكذابه نفسه فيه. وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى قبل, ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل.

19538- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن ليث, عن طاوس, قال: توبة القاذف أن يكذّب نفسه.

19539- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, قال: رأيت رجلاً ضُرب حدّا في قذف بالمدينة, فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه, ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات قال: فلقيت أبا الزناد, فذكرت ذلك له, قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه إلاّ خيرا قُبلت شهادته.

19540- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ إلاّ الّذِينَ تابُوا... الآية, قال: من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب إلى الله توبة نصوحا والنصوح: أن لايعودوا, وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم.

وقال آخرون: توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود في مثل ذلك من الجُرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم, وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى, وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه, والندم على ما سلف منه, واستغفار ربه منه, فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم. والقاذف إذا أُقيم عليه فيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحدّ أو عُفي عنه فلم يبق عليه إلاّ توبته من جرمه بينه وبين ربه, فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه. فإذ كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا, فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون, إلاّ الذين تابوا من جُرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه, فإنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها, رحيم بهم بعد التوبة أن يعذّبهم عليها, فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فَسَقة, بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ يَرْمُونَ من الرجال أزْوَاجَهُمْ بالفاحشة, فيقذفونهنّ بالزنا, ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ يشهدون لهم بصحة ما رموهنّ به من الفاحشة, فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ باللهِ إنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «أرْبَعَ شَهاداتٍ» نصبا, ولنصبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله: فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ مرفوعة بمضمر قبلها, وتكون «الأربع» منصوبا بمعنى الشهادة, فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: فعلى أحدهم أن يشهد أربعَ شهادات بالله. والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله: إنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ و «الأربع» منصوبة بوقوع الشهادة عليها, كما يقال: شهادتي ألف مرّة إنك لرجل سَوْء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها, فتقول: حَلِفٌ صادق لأقومنّ, وشهادة عمرو ليقعدنّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: أرْبَعُ شَهاداتٍ برفع «الأربع», ويجعلونها للشهادة مرافِعة, وكأنهم وجهوا تأويل الكلام: فالذي يلزم من الشهادة, أربعُ شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: «فشهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعَ شَهاداتٍ باللهِ إنّهُ لَمنَ الصّادِقِينَ» بنصب أربع, بوقوع «الشهادة» عليها, و «الشهادة» مرفوعة حينئذٍ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحبّ وجهيهما إليّ أن تكون به مرفوعة بالجواب, وذلك قوله: إنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ وذلك أن معنى الكلام: والذين يرمون أزواجهم, ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم, فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين, تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحدّ عنه. فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة, أكتفاء بمعرفة السامعين بما ذُكِر من الكلام, فصار مُرافِع «الشهادة» ما وصفت. ويعني بقوله: فَشَهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ باللهِ: فحلف أحدهم أربع أيمان بالله, من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رَمَى زوجته به من الفاحشة, والخامِسَة يقول: والشهادة الخامسة, أن لعنة الله عليه يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حالّة, إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقالت به جماعة من أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك, وذكر السبب الذي فيه أُنزلت هذه الآية: 19541- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أيوب, عن عكرمة, قال: لما نزلت وَالّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً قال سعد بن عبادة: الله إن أنا رأيت لَكَاعِ متفخذَها رجل فقلت بما رأيت إن في ظهري لثمانين إلى ما أجمع أربعة؟ قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ, ألا تَسْمَعونَ إلى ما يَقولُ سَيّدُكُمْ؟». قالوا: يا رسول الله لا تَلُمْه وذكروا من غَيرته فما تزوّج امرأة قطّ إلا بكرا, ولا طلق امرأة قطّ فرجع فيها أحد منا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنّ اللهَ يَأبَى إلاّ ذَاكَ» فقال: لا والله, لا يَجْعَل في ظهري ثمانين أبدا, لقد نظرت حتى أيقنت, ولقد استسمعت حتى استشفيت قال: فأنزل الله القرآن باللّعان, فقيل له: احلف فحلف, قال: «قِفُوهُ عِنْدَ الخَامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ». فقال: لا يُدْخله الله النار بهذا أبدا, كما درأ عنه جلد ثمانين, لقد نظرت حتى أيقنت, ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل: احلفي فحلفت ثم قال: «قِفُوهَا عِنْدَ الخَامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ». فقيل لها: إنها مُوجِبة, فتلكأت ساعة, ثم قالت: لا أُخْزِي قومي, فحلفت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ لِزَوْجِها, وَإنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ للّذِي قِيلَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيهِ ما قيلَ». قال: فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق, فكان بعد أميرا بمصر, لا يُعرف نَسَبُه, أو لا يُدْرَى من أبوه.

19542- حدثنا خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا عباد, قال: سمعت عكرِمة, عن ابن عباس, قال: لما نزلت هذه الآية: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاء فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبَدا وأُولَئِكَ هُمُ الفاسقُونَ قال سعد بن عبادة: لهكذا أنزلت يا رسول الله؟ لو أتيت لَكاعٍ قد تفخّذها رجل, لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه حتى آتيَ بأربعة شهداء؟ فوالله ما كنت لَآتيَ بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ, أما تَسْمَعُونَ إلى ما يَقُولُ سَيّدُكُمْ؟» قالوا: لا تلُمه فإنه رجل غَيُور, ما تزوّج فينا قطّ إلاّ عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوّجها قال سعد: يا رسول الله, بأبي وأمي, والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حقّ, ولكن عجبت لو وجدت لَكَاعٍ قد تفخذها رجل بم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه حتى آتيَ بأربعة شهداء والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا إلاّ يسيرا حتى جاء هلالُ بن أمية من حديقة له, فرأى بعينيه, وسمع بأذنيه, فأمسك حتى أصبح. فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو جالس مع أصحابه, فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عِشاء, فوجدت رجلاً مع أهلي, رأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدّا, حتى عُرف ذلك في وجهه, فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به, والله يعلم أني صادق, وما قلت إلاّ حقّا, فإني لأرجو أن يجعل الله فرجا. قال: واجتمعت الأنصار, فقالوا: ابتلينا بما قال سعد, أيُجْلَد هلال بن أميّة وتبطلَ شهادته في المسلمين؟ فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه, فإنه لكذلك يريد أن يأمر بضربه, ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه, إذ نزل عليه الوحي, فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل, حتى فرغ, فأنزل الله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ... إلى: أنّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقينَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبْشِرْ يا هِلالُ, فإنّ اللهَ قَدْ جَعَلَ فَرَجا» فقال: قد كنت أرجو ذلك من الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرْسِلُوا إلَيْها» فجاءت, فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها, فكذّبت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللهَ يَعْلَمُ أنّ أحَدَكما كاذِبٌ, فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ؟» فقال هلال: يا رسول الله, بأبي وأمي لقد صَدَقْتُ وما قلتُ إلاّ حقّا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاعِنُوا بَيْنَهُما» قيل لهلال: يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين, فقيل له عند الخامسة: يا هلال اتق الله, فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس, وإنها الموجبة التي توجب عليك العذاب. فقال هلال: والله لا يعذّبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة: أنّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ ثم قيل لها: اشهدي فشهدت أربعَ شهادات بالله إنه لمن الكاذبين, فقيل لها عند الخامسة: اتقي الله, فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس, وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. فتلكّأت ساعة, ثم قالت: والله لا أفضَح قومي, فشهدت الخامسة: أنّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ ففرّق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقضى أن الولد لها, ولا يُدْعَى لأب, ولا يُرْمَى ولدها.

19543- حدثني أحمد بن محمد الطّوسي, قال: حدثنا أبو أحمد الحسين بن محمد, قال: حدثنا جرير بن حازم, عن أيوب, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: لمّا قَذف هلال بن أميّة امرأته, قيل له: والله ليجلدنّك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال: الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبتّ, لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة, فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية, فقال: «الله يَعْلَمُ أنّ أحَدَكُما كَاذِبٌ, فَهَلْ منكما تَائِبٌ؟» فقال هلال: والله إني لصادق. فقال له: «احْلِفْ باللهِ الّذِي لا إلَهَ إلاّ هُوَ: إنّي لَصَادِقٌ» يقول ذلك أربع مرّات «فإن كنتُ كاذبا فعليّ لعنةُ الله». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِفُوهُ عِنْدَ الخامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ» فحلف. ثم قالت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أربعا: والله الذي لا إله إلاّ هو إنه لمن الكاذبين, فإن كان صادقا فعليها غضب الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِفُوها عنْدَ الخامِسَةِ, فإنّها مُوجِبَةٌ» فتردّدت وهمّت بالاعتراف, ثم قالت لا أفضَح قومي».

19544- حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعيّ, قالا: حدثنا عَبْدة, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: كنا ليلة الجمعة في المسجد, فدخل رجل فقال: لو أن رجلاً وجَد مع امرأته رجلاً فقتله قتلتموه, وإن تكلم جلدتموه فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله آية اللّعان. ثم جاء الرجل بعد, فقذف امرأته, فلاعَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما, فقال: «عَسَى أنْ تَجيءَ بِهِ أسْوَدَ جَعْدا». فجاءت به أسود جَعْدا.

19545- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد, عن عبد الملك بن أبي سليمان, عن سعيد بن جُبير قال: سألت ابن عمر, فقلت: يا أبا عبد الرحمن, أيُفَرّق بين المتلاعنين؟ فقال: نعم, سبحان الله إن أوّل من سأل عن ذلك فلان, أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فسأله, فقال: أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة, كيف يصنع؟ فلم يجبه في ذلك شيئا. قال: فأتاه بعد ذلك فقال: إن الذي سألتُ عنه قد ابتليتُ به. فأنزل الله هذه الآية في سورة النور, فدعا الرجلَ فوعظه وذكّره, وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال: والذي بعثك بالحقّ, لقد رأيتُ وما كذبت عليها قال: ودعا المرأة فوعظها, وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة, فقالت: والذي بعثك بالحقّ إنه لكاذب, وما رأى شيئا قال: فبدأ الرجل, فشهد أربع شهادات بالله: إنه لمن الصادقين, والخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين, والخامسة أنّ غَضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين. وفرّق بينهما.

19546- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عامر, قال: لما أنزل: وَالّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً قال عاصم بن عديّ: إن أنا رأيت فتكلّمت جُلدت ثمانين, وإن أنا سكت سكت على الغيظ قال: فكأنّ ذلك شقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فأنزلت هذه الآية: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ قال: فما لبثوا إلاّ جمعة, حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته, فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما.

19547- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ... الآية, والخامسة: أن يقال له: إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين. وإن أقرّت المرأة بقوله رُجِمت, وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله: إنه لمن الكاذبين, والخامسة أن يقال لها: غضب الله عليك إن كان من الصادقين فُيْدرأ عنها العذاب, ويُفَرّق بينهما, فلا يجتمعان أبدا, ويُلحق الولد بأمه.

19548- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عكرِمة, قوله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ قال: هلال بن أميّة, والذي رُمِيَتْ به شريك بن سحماء, والذي استفتى عاصم ابن عديّ.

19549- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني الزهريّ عن الملاعنة والسنة فيها, عن حديث سهل بن سعد: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أرأيتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً, أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَضَى اللّهُ فِيكَ وَفِي امْرأتكَ» فتلاعنا وأنا شاهد. ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فكانت السنة بعدها أن يُفَرّق بين المتلاعنين. وكانت حاملة, فأنكره, فكان ابنها يُدعى إلى أمه, ثم جرت السنة أن ابنها يَرِثها وترث ما فرض الله لها.

19550- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ... إلى قوله: إنْ كانَ مِنَ الكاذِبينَ قال: إذا شهد الرجل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خمس شهادات, فقد برىء كل واحد من الآخر, وعِدّتُها إن كانت حاملاً أن تضع حملها, ولا يجْلد واحد منهما وإن لم تحلف أقيم عليها الحدّ والرجْم.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يعني جلّ ذكره بقوله: وَيَدْرَأُ عَنْها العَذَابَ: ويدفع عنها الحدّ.

واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع, فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك, من أنّ الحدّ جَلْدُ مئة إن كانت بكرا أو الرجْم إن كانت ثيبا قد أحصنت.

وقال آخرون: بل ذلك الحبس, وقالوا: الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والْتِعَانة: الحبس دون الحدّ.

وإنما قلنا: الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالْتعان بعد الْتعان الزوج الحدّ الذي وصفنا, قياسا على إجماع الجميع على أن الحدّ إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به, أن الحدّ عليها واجب, فجعل الله أيمانه الأربع والْتعانة في الخامسة مخرجا له من الحدّ الذي يجب لها برميه إياها, كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلاً به عنه الحدّ فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحدّ عنه بذلك واجبا عليها حدّها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها, لا فرق بين ذلك. وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى «لطيف القول في شرائع الإسلام», فأغني عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: أنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ يقول: ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان: أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة, لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا. وقوله: والخامِسَةُ أَنّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها... الآية, يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. ورفع قوله: والخامِسَةُ في كلتا الآيتين, ب«أنّ» التي تليها.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنّ اللهَ تَوّابٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم, وأنه عَوّاد على خلقه بلطفه وطَوْله, حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضَح أهل الذنوب منكم بذنوبهم, ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً, رحمة منه بكم وتفضلاً عليكم, فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدّم عما عنه نهاكم من معاصيه. وترك الجواب في ذلك, اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لّكُمْ لِكُلّ امْرِىءٍ مّنْهُمْ مّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالّذِي تَوَلّىَ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبُهتان عُصْبَةٌ مِنْكُمْ يقول: جماعة منكم أيها الناس. لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله وعند الناس, بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كَفّارة للمرميّ به, ويُظهر براءته مما رُمي به, ويجعل له منه مخرجا. وقيل: إن الذي عَنَى الله بقوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ: جماعة, منهم حسان بن ثابت, ومِسْطَح بن أُثاثة, وحَمْنه بنت جحش. كما:

19551- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة: أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك, وهم كما قال الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ, وأنه لم يُسَمّ منهم أحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلا حسان بن ثابت, ومِسْطَح بن أُثاثة, وحَمْنة بنت جَحْش, وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله.

19552- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ هم أصحاب عائشة. قال ابن جُرَيج: قال ابن عباس: قوله: جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... الآية, الذين افْتَروا على عائشة: عبد الله بن أُبَيّ, وهو الذي تولى كِبْره, وحسان بن ثابت, ومِسْطَح, وحَمْنة بنت جحش.

19553- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان.

19554- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ, بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ قال: الشرّ لكم بالإفك الذي قالوا, الذي تكلّموا به, كان شرّا لهم, وكان فيهم من لم يقله إنما سمعه, فعاتبهم الله, فقال أوّلَ شيء: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَكُمْ, بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ثم قال: والّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وقوله: لِكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ يقول: لكلّ امرىء من الذين جاءوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم, بمجيئه بما جاء به, من الأولى عبد الله. وقوله: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه. كما:

19555- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يقول: الذي بدأ بذلك.

19556- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عُصْبَةٌ مِنْكُمْ قال: أصحاب عائشة عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول, ومِسْطَح, وحَسّان.

قال أبو جعفر: له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: كِبْرَهُ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار: كِبْرَهُ بكسر الكاف, سوى حميد الأعرج فإنه كان يقرؤه: «كُبْرَهُ» بمعنى: والذي تحمل أكبره.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: القراءة التي عليها عوامّ القرّاء, وهي كسر الكاف, لإجماع الحجة من القرّاء عليها, وأن الكِبْر بالكسر: مصدر الكبير من الأمور, وأن الكُبْر بضم الكاف: إنما هو من الولاء والنسب, من قولهم: هو كُبْر قومه والكِبْر في هذا الموضع: هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك. فإذا كان ذلك كذلك, فالكسر في كافة هو الكلام الفصيح دون ضمها, وإن كان لضمها وجه مفهوم.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنىّ بقوله: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ... الآية, فقال بعضهم: هو حسان بن ثابت. ذكر من قال ذلك:

19557- حدثنا الحسن بن قزعة, قال: حدثنا مسلمة بن علقمة, قال: حدثنا داود, عن عامر, أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان, وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة, قوله لأبي سفيان:

هَجَوْتَ مُحَمّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُوَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
فإنّ أبي وَوَالِدهُ وَعِرْضِيلِعِرْضِ مُحَمّدٌ مِنْكُمْ وِقاءُ
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍفَشَرّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ
لِسانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِيهِوبَحْرِي لا تُكَدّرهُ الدّلاءُ

فقيل: يا أمّ المؤمنين, أليس هذا لغوا؟ قالت لا, إنما اللّغو ما قيل عند النساء. قيل: أليس الله يقول: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم؟ أليس قد ذهب بصره وكُنّع بالسيف؟.

19558- قال: حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق قال: كنت عند عائشة, فدخل حسان بن ثابت, فأمرت, فأُلقي له وسادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ وقد ذهب بصره, ولعلّ الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره.

19559- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة, فشبّب بأبيات له, فقال: وَتُصْبِح غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك فقلت: تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه: وَالّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ... الآية؟ فقالت: وأيّ عذاب أشدّ من العمى وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

19560- حدثني محمد بن عثمان الواسطي, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن المُعَلّى بن عرفان, عن محمد بن عبد الله بن جحش, قال: تفاخرت عائشة وزينب, قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء. قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعَطّل على الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة, ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلتِ كلمةَ المؤمنين.

وقال آخرون: هو عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول. ذكر من قال ذلك:

19561- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن عائشة, قالت: كان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول, وكان يستوشيه ويجمعه, وهو الذي تولى كِبْره, ومِسْطَحا, وحسان بن ثابت.

19562- حدثنا سفيان, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا محمدبن عمرو, قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب, عن علقمة بن وقّاص وغيره أيضا, قالوا: قالت عائشة: كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته, عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن شهاب, قال: ثني عروة بن الزبير, وسعيد بن المسيب, وعلقمة بن وقاص, وعبيد الله بن عتبة, عن عائشة, قالت: كان الذي تولى كبره: عبد الله بن أُبيّ.

19563- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: إنّ الّذِينَ جاءُوا... الآية, الذين افْتَرَوا على عائشة: عبد الله بن أُبيّ, وهو الذي تولى كِبْره, وحسان, ومِسْطَح, وحَمْنه بنت جحش.

19564- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك: يزعمون أنه كان كِبْرُ ذلك عبدَ الله بن أبيّ ابن سلول, أحد بني عوف بن الخرزج وأخبرت أنه كان يحدّث به عنهم فيقرّه ويسمعه ويستوشيه.

19565- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أما الذي تولى كبره منهم, فعبد الله بن أُبيّ ابن سلول الخبيث, هو الذي ابتدأ هذا الكلام, وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت, ثم جاء يقود بها.

19566- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: والذي تولى كِبْره هو عبد الله بن أُبيّ ابن سلول, وهو بدأه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كِبْره من عصبة الإفك, كان عبد الله بن أبيّ, وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير, أن الذي بدأ بذكر الإفك, وكان يجمع أهله ويحدثهم, عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول, وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كِبْر ذلك الأمر. وكان سبب مجيء أهل الإفك, ما:

19567- حدّثنا به ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب, ثني عروة بن الزبير, وسعيد بن المسيب, وعلقمة بن وقّاص, وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود, عن حديث عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم, حين قال لها أهل الإفك ما قالوا, فبرأها الله, وكلهم حدثني طائفة من حديثها, وبعضهم كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أوعى لحديثها من بعض, وأثبت اقتصاصا, وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة, وبعض حديثهم يصدق بعضا:

زعموا أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه, فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها, فخرج سهمي, فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك بعد ما أُنْزِل الحجاب, وأنا أُحْمَل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا, حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل إلى المدينة, آذن ليلة بالرحيل, فقمت حين آذنوا بالرحيل, فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني, أقبلت إلى الرحل, فلمست صدري, فإذا عِقْدٌ لي من جَزْع ظَفَارِ قد انقطع, فرجعت فالتمست عقدي, فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرْحَلون لي, فاحتملوا هو دجي, فَرَحلوه على بعيري الذي كنت أركب, وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خِفافا لم يُهَبّلْهُن ولم يَغْشَهن اللحم, إنما يأكلن العُلْقة من الطعام. فلم يستنكر القوم ثقلَ الهودج حين رَحَلُوه ورفعوه, وكنت جارية حديثة السنّ, فبعثوا الجمل وساروا, فوجدت عَقْدي بعد ما استمرّ الجيش, فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه, وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إليّ. فبينا أنا جالسة في منزلي, غلبتني عيني, فنمت حتى أصبحت. وكان صفوان بن المعطّل السّلميّ ثم الذّكْوانيّ, قد عَرّس من وراء الجيش, فادّلَج فأصبح عند منزلي, فرأى سواد إنسان نائم, فأتاني, فعرفني حين رآني, وكان يراني قبل أن يُضرب الحجاب عَلَيّ, فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني, فخَمّرت وجهي بجلبابي, والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته, فوطِيء على يديها فركبتها, فانطلق يقود بي الراحلة, حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا مُوغِرِينَ في نحر الظهيرة. فهلك من هلك في شأني, وكان الذي تولى كِبْره عبد الله بن أُبيّ ابن سلول.

فقدمنا المدينة, فاشتكيت شهرا, والناس يُفِيضُون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك, وهو يَريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللّطْف الذي كنت أرى منه حين أشتكي, إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذلك يريبني, ولا أشعر بالشرّ. حتى خرجت بعد ما نَقَهت, فخرجت مع أمّ مِسْطَح قبَلَ المَنَاصع, وهو مُتَبرّزنا, ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل, وذلك قَبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا, وأَمْرُنا أمر العرب الأُوَل في التنزّه, وكنا نتأذّى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأمّ مسطح, وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد المطلب بن عبد مناف, وأمها ابنة صخر بن عامر, خالة أبي بكر الصدّيق, وابنها مِسْطَحْ بن أُثاثة بن عباد بن المطّلب. فأقبلت أنا وابنة أبي رُهْم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا, فعثرت أمّ مِسْطَح في مِرْطِها, أوَ لم تسمعي ماقال؟ وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك, فازددت مَرَضا على مرضي. فلما رجعت إلى منزلي, ودخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم قال: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فقلت: أتأذن لي أن آتيَ أبويّ؟ قال: «نعم». قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستثبت الخبر من قِبَلهما. فأذِن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم, فجئت أبويّ, فقلت لأمي: أي أمتاه, ماذا يتحدّث الناس؟ فقالت: أي بُنية, هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر, إلا أكثرن عليها. قالت: قلت: سبحان الله, أَوَ قد تحدّث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم, فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم, ثم أصبحت, فدخل عليّ أبو بكر وأنا أبكي, فقال لأمي: مايبكيها؟ قالت: لم تكن علمت ما قيل لها. فأكبّ يَبْكي, فبكى ساعة, ثم قال: اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم, ثم بكيت ليلى المقبل لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم, ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم, حتى ظنّ أبواي أن البكاء سيفلق كبدي.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب وأُسامة بن زيد, حين استْلَبث الوحي, يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أُسامة, فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الودّ, فقال: يا رسول الله, هم أهلك, ولا نعلم إلا خيرا. وأما عليّ فقال: لم يضيق الله عليك, والنساء سواها كثير, وإن تسأل الجارية تَصْدُقك, يعني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بَرِيرة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة, فقال: «هَلْ رأيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عائِشَةَ؟» قالت له بَرِيرة: والذي بعثك بالحقّ, ما رأيت عليها أمرا قطّ أَغْمِصُه عليها, أكثرَ من أنها حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام النبيّ صلى الله عليه وسلم خطيبا, فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله, ثم قال: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِمنْ قَدْ بَلَغْنِي أذَاهُ فِي أهْلِي؟» يعني عبدَ الله بن أُبي ابن سَلُول. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا: «يا مَعْشَرَ المُسْلَمِينَ, مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أذَاهُ فِي أهْلِي؟ فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلى أهْلِي إلاّ خَيْرا, وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلاّ خَيْرا, وَما كانَ يَدْخُلُ عَلى أهْلِي إلاّ مَعي» فقام سعد بن مُعاذ الأنصاريّ, فقال: أنا أعذِرك منه يا رسول الله, إن كان من الأوس ضربنا عُنُقه, وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عُبادة, فقال, وهو سيد الخزرج, وكان رجلاً صالحا, ولكن احتملَتْه الحَمِيّة, فقال: أَيْ سعدَ بن معاذ, فقال لسعد بن عُبادة: كذبت, لعمر الله لنقتلّنه, فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان: الأوس والخزرج, حتى هموا أن يقتتلوا, ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر, فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفّضُهم حتى سكتوا. ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبويّ, فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي, استأذنتْ عليّ امرأة من الأنصار, فأذنت لها, فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك, دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم جلس عندي, ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل, وقد لبث شهرا لا يوحَى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس, ثم قال: «أمّا بَعْدُ يا عائشَةُ فإنّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وكَذا, فإنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرّئُكِ اللهُ, وَإنْ كُنْتِ ألَمَمْتِ بِذَنْبٍ, فاسْتَغْفِرِي اللهَ, وَتُوبِي إلَيْهِ, فإنّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَف بَذَنْبِهِ ثُمّ تابَ تابَ الله عَلَيْهِ». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته, قَلَص دمعي, حتى ما أحسّ منه دمعة قلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد عرفت أنْ قد سمعتم بهذا, حتى استقرّ في أنفسكم, حتى كِدْتم أن تصدّقوا به, فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني برئة, لا تصدّقوني بذلك, ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة, لتصدّقُنّي, وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ.

ثم تولّيت واضطجعت على فراشي, وأنا والله أعلم أني بريئة وأن الله سيبرّئني ببراءتي, ولكني والله ما كنت أظنّ أن ينزل في شأني وحْي يُتلى, ولَشأني كان أحقَر في نفسي من أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتلى, ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرّئني الله بها. قالت: والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه, فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي, حتى إنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فلما سُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك, كان أوّل كلمة تكلم بها أن قال: «أبْشِرِي يا عائِشَةُ, إنّ اللهَ قَدْ بَرّأكِ» فقالت لي أمي, قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه, ولا أحمد إلا الله, هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ عشر آيات, فأنزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر, وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة قالت: فأنزل الله: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ حتى بلغ: غَفُورٌ رَحِيمٌ فقال أبو بكر: إني لأحبّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطَح النفقةَ التي كان يُنفق عليه, وقال: لا أنزعها منه أبدا.

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري وما رأت وما سمعت, فقالت: يا رسول الله, أحمي سمعي وبصري, والله ما رأيت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني, فعصمها الله بالوَرَع, وطفقت أختها حَمْنة تحارب فهلكت فيمن هلك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الزهريّ بن شهاب: هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, وعن علقمة بن وقّاص الليثيّ, عن سعيد بن المسيب, وعن عروة بن الزبير, وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود. قال الزهريّ: كلّ قد حدثني بعض هذا الحديث, وبعض القوم كان له أوعى من بعض. قال: وقد جمعت لك كل الذي قد حدثني. وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة قال: وثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير, عن أبيه, عن عائشة. قال: ثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ, عن عَمْرة بنت عبد الرحمن, عن عائشة قالت وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها, حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا, وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا, ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض, وكلّ كان عنها ثقة, وكلّ قد حدث عنها ما سمع.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه, فأيتهُنّ خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزاة بني المصطَلِق, أقرع بين نسائه كما كان يصنع, فخرج سهمي عليهنّ, فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق لم يهيّجْهُنّ اللحم فيثقلن. قالت: وكنت إذا رحل بعيري جلست في هَوْدَجي, ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني, فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير, فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً, حتى إذا كان قريبا من المدينة, نزل منزلاً فبات بعض الليل, ثم أذّن في الناس بالرحيل. فلما ارتحل الناس, خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جَزْعَ ظَفارٍ, فلما فرغت انسلّ من عنقي وما أدري فلما رجعت إلى الرحْل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده, وقد أخذ الناس في الرحيل. قالت: فرجعت عَوْدِي إلى بَدْئِي, إلى المكان الذي ذهبت إليه, فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير.

ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى, عن ابن ثور.

19568- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن عائشة رضي الله عنها, قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به, قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت, فتشهد, فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله, ثم قال: «أمّا بَعْدُ أشِيرُوا عَليّ فِي أُناسٍ أبَنُوا أهْلِي وَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلى أهْلِي سُوءًا قَطّ, وأبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ سُوءا قَطّ, وَلا دَخَلَ بَيْتِي قَطّ إلاّ وأنا حاضِرٌ, وَلا أغِيبُ فِي سَفَرٍ إلاّ غابَ مَعِي» فقام سعد بن مُعاذ فقال: يا رسول الله, نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج, وكانت أمّ حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل, فقال كذبتَ, أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شرّ وما علمتُ به. فلما كان مساء ذلك اليوم, خرجت لبعض حاجتي ومعى أمّ مِسْطح, فعثرت, فقالت: تَعَس مِسْطح فقلت علام تسبين ابنك؟ فسكتت, ثم عثرت الثانية, فقالت: تَعَس مسطح قلت: علام تسبين ابنك؟ فسكتت الثانية. ثم عثرت الثالثة, فقالت: تَعَس مسطح فانتهرتها, فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله. قالت: فرجعت إلى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له, ولا أجد منه قليلاً ولا كثيرا. ووُعِكْت, فقلت: يا رسول الله, أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام, فدخلت الدار فإذا أنا بأمي أمّ رومان, قالت: ما جاء بك يا بُنية؟ فأخبرتها, فقالت: خَفّضي عليك الشأن, فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها. قلت: وقد علم بها أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت وبكيت, فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ, فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذُكر من أمرها. ففاضت عيناه, فقال: أقسمت عليك إلاّ رَجَعْت إلى بيتك فرجعت.

فأصبح أبواي عندي, فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بعد العصر, وقد اكتنفني أبواي, عن يميني وعن شمالي, فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله, ثم قال: «أمّا بَعْدُ يا عائِشَةُ, إنْ كُنْتِ قارَفْتِ سُوءا أوْ ألَمَمْتِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فَتُوبِي إلى اللهِ, فإنّ اللهَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ». وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة, فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئا؟ فقلت لأبي: أجبه فقال: أقول ماذا؟ قلت لأمي: أجيبيه فقالت: أقول ماذا؟ فلما لم يجيباه تشّهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله, ثم قلت: أما بعد, فوالله لئن قلت لكم إني لم أفعل, والله يعلم إني لصادقة ما ذا بنافعي عندكم, لقد تُكُلّم به وأُشْرِبته قلوبكم وإن قلت إني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لَتقولُنّ قد باءت به على نفسها, وأيمُ الله مَا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الـمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ. وأنزل الله على رسوله ساعتئذٍ, فُرفع عنه, وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول: «أبْشِرِي يا عائِشَةُ, فَقَدْ أنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ» فكنت أشدّ ما كنت غضبا, فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: والله لا أقوم إليه, ولا أحمده ولا أحمدكما, لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه, ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي. ولقد جاء رسول الله بيتي, فسأل الجارية عني, فقالت: والله ما أعلم عليها عيبا إلا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها, فانتهرها بعض أصحابه, وقال لها: اصْدُقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة: فعَتب على من قاله, فقال: لا, والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر. وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له, فقال: سبحان الله ما كشفت كَنَف أنثى قطّ. فقتل شهيدا في سبيل الله. قالت عائشة: فأما زينب بنت جحش, فعصمها الله بدينها, فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنة أختها, فهلكت فيمن هلك. وكان الذين تكلموا فيه: المنافقَ عبد الله بن أُبيّ ابن سلول, وكان يستوشيه ويجمعه, وهو الذي تولى كِبْره, ومِسْطحا, وحسانَ بن ثابت, فحلف أبو بكر أن لا ينفع مِسْطَحا بنافعة, فأنزل الله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ يعني أبا بكر, أنْ يُؤْتُوا أُولي القُرْبَى وَالـمَساكِينَ يعني مِسْطحا, ألا تَحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى والله, إنا لنحبّ أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لِمِسْطَح بما كان يصنع به.

19569- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب, عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا, قال: خرجت عائشة تريد المَذْهب, ومعها أمّ مسطح. وكان مِسطح بن أثاثة ممن قال ما قال. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك, فقال: «كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِينِي فِي أهْلِي وَيجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِينِي؟» فقال سعد بن مُعاذ: أي رسول الله, إن كان منا معشرَ الأوس جلدنا رأسه, وإن كان من إخواننا من الخزرج, أمرتنا فأطعناك. فقال سعد بن عبادة: يا ابن معاذ, والله ما بك نُصْرة رسول الله, ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت. فقام أُسَيد بن حُضَير, فقال: يا ابن عبادة, إن سعدا ليس شديدا, ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم. وكثر اللّغَط في الحيين في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر, فما زال النبيّ صلى الله عليه وسلم يومىء بيده إلى الناس ههنا وههنا, حتى هدأ الصوت.

وقالت عائشة: كان الذي تولى كِبْره, والذي يجمعهم في بيته, عبد الله بن أُبّي ابن سلول. قالت: فخرجت إلى المَذْهَب ومعي أمّ مسطح, فعثرتْ, فقالتْ: تَعَس مِسْطح فقلت: غفر الله لك, أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرّتين, وما شعرت بالذي كان. فحُدثت, فذهب عني الذي خرجت له, حتى ما أجد منه شيئا. ورجعت على أبويّ أبي بكر وأمّ رُومان, فقلت: أما اتقيتما الله فيّ وما وصلتما رحمي؟ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي قال, وتحدّث الناس بالذي تحدثوا به ولم تُعْلِماني فأُخْبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: أي بنية, والله لقلما أحبّ رجل قطّ امرأته إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك أي بنية ارجعي إلى بيتك حتى نأتَيك فيه فرجعت وارتكبني صالِبٌ من حُمّى, فجاء أبواي فدخلا, وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وُجاهي, فقالا: أي بينة, إن كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله, وإن لم تكوني صنعتيه فأخبرني رسول الله بعذرك قلت: ما أجد لي ولكم إلا كأبي يوسف فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الـمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ. قالت: فالتمست

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اسم يعقوب, فما قدرت, أو فلم أقدر عليه. فشخص بصر رسول الله إلى السقف, وكان إذا نَزَل عليه وَجَد, قال الله: إنّا سَنُلْقي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب, ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى نواجذه سرورا, ثم مسح عن وجهه, فقال: «يا عائِشَةُ أبْشِرِي, قَدْ أنْزَلَ اللهُ عُذْرَكِ» قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك. قال الله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... حتى بلغ: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ. وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة, وكان بينهما رَحم, فلما أنزلت: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ... حتى بلغ: وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى, أي ربّ فعاد إلى الذي كان لمسطح إن الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ... حتى بلغ: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم. قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل فيّ كتاب ولا أطمع به, ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تُذْهب ما في نفسه. قالت: وسأل الجارية الحَبَشية, فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب, وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها, ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنّك الله قال: فعجب الناس من فقهها.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {لّوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَـَذَآ إِفْكٌ مّبِينٌ }.

وهذا عتاب من الله تعالى ذِكْره أهلَ الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجافِ من أرْجَفَ في أمر عائشة بما أرجف به. يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظنّ المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول: ظننتم بمن قُرِف بذلك منكم خيرا, ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة. وقال «بأنفسهم» لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة, لأنهم أهل ملة واحدة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19570- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن أبيه, عن بعض رجال بني النجار, أن أبا أيوب خالد بن زيد, قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى, وذلك الكذب, أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن, ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا, ثم قال: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ... الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

19571- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا ما هذا الخير؟ ظنّ المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه, وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها, إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه. يقول: إنما كانت عائشة أمّا, والمؤمنون بنون لها, محرّما عليها, وقرأ: لَوْلا جاءُوا عَلَيْهِ بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... الآية.

19572- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا قال لهم خيرا, ألا ترى أنه يقول: لا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ يقول: بعضكم بعضا, وسلموا على أنفسكم, قال: يسلم بعضكم على بعض.

19573- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذة, قال: حدثنا عوف عن الحسن, في قوله: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله: وَقالُوا هَذَا إفْكٌ مُبِينٌ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رُمِيَ به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم, يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب وإثم وبهتان. كما:

19574- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: أخبرنا عوف عن الحسن: وَقالُوا هَذَا إفْكٌ مُبِينٌ قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حدّ الزنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {لّوْلاَ جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشّهَدَآءِ فَأُوْلَـئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك, ورمَوا عائشة بالبهتان, بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رَمَوها به فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رمَوْها به فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكاذِبُونَ يقول: فالعُصْبة الذين رَمَوها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الإفك.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَوْلا فَضْلُ اللهَ عَلَيْكُمْ أيها الخائضون في أمر عائشة, المُشِيعُون فيها الكذب والإثم, بتركه تعجيل عقوبتكم وَرَحْمَتُهِ إياكم, لعفوه عنكم في الدّنْيا والآخِرَةِ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك, لَمسّكُمْ فِيما خضتم فيه من أمرها عاجلاً في الدنيا عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19575- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ هذا للذين تكلموا فنشروا ذلك الكلام, لَمَسّكُمْ فِيما أفْضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ تَلَقّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لمسّكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم, حين تلقّونه بألسنتكم. و«إذ» من صلة قوله «لمسّكم». ويعني بقوله: تَلَقّوْنَهُ تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك, فتقبلونه, ويرويه بعضكم عن بعض يقال: تلقيّت هذا الكلام عن فلان, بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لأن الرجل منهم فيما ذُكر يَلْقى آخر فيقول: أَوَ مَا بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليُشِيع عليها بذلك الفاحشة. وذكر أنها في قراءة أُبيّ: «إذْ تَتَلَقّوْنَهُ» بتاءين, وعليها قَرَأَهُ الأمصار, غير أنهم قرءوها: تَلَقّوْنَهُ بتاء واحدة, لأنها كذلك في مصاحفهم. وقد رُوِي عن عائشة في ذلك, ما:

19576- حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكَم, قال: حدثنا خالد بن نزار, عن نافع, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم, أنها كانت تقرأ هذه الآية: «إذْ تَلِقُوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ» تقول: إنما هو وَلْق الكذب, وتقول: إنما كانوا يَلِقُون الكذب. قال ابن أبي مليكة: وهي أعلم بما فيها أنزلت.

قال نافع: وسمعت بعض العرب يقول: اللّيْق: الكذب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِيّ, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة, أنها كانت تقرأ: «إذْ تَلِقُونَهُ بألْسِنَتُكُمْ» وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت, قال ابن أبي مليكة: هو من وَلْق الكذب.

قال أبو جعفر: وكأن عائشة وَجّهت معنى ذلك بقراءتها «تلِقُونَهُ» بكسر اللام وتخفيف القاف, إلى: إذ تستمرّون في كذبكم عليها وإفككها بألسنتكم, كما يقال: وَلَق فلان في السير فهو يَلِق: إذا استمرّ فيه وكما قال الراجز:

إنّ الجُلَيْدَ زَلِقٌ وَزُمَلِقْجاءتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشّأَمِ تَلِقْمُ
جَوّعُ البَطْنِ كِلابِيّ الخُلُقْ

وقد رُوي عن العرب في الوَلْق: الكذب: الأَلْق, والإلق: بفتح الألف وكسرها, ويقال في فعلت منه: أَلِقْتُ, فأنا أَلِقُ وقال بعضهم:

مَنْ لِيَ بالمُزَرّرِ اليَلامِقِصاحِبِ أدْهانٍ وألْقٍ آلِقِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والقراءة التي لا أستجيز غيرها: إذْ تَلَقّوْنَهُ على ما ذكرت من قراءة الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19577- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: إذْ تَلَقّوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ قال: تَرْوُونه بعضُكم عن بعض.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إذْ تَلَقّوْنَهُ قال: تَرْوُونه بعضُكم عن بعض.

قوله: وَتَقُولُونَ بأفْوَاهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ يقول تعالى ذكره: وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تَرْوُونه, فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا, ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته. وَتَحْسَبُونَهُ هَيّنا وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقّيكموه بعضكم عن بعض, هَيّنٌ سهل, لا إثم عليكم فيه ولا حرج. وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ يقول: وتلقّيكم ذلك كلك وقولُكموه بأفواهكم, عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مّا يَكُونُ لَنَآ أَن نّتَكَلّمَ بِهَـَذَا سُبْحَانَكَ هَـَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: فَلَوْلا أيها الخائضون في الإفك الذي جاءت به عصبة منكم, إذْ سَمِعْتُمُوهُ ممن جاء به, قلتُمْ ما يحلّ لنا أن نتكلم بهذا, وما ينبغي لنا أن نتفوّه به سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ, تنزيها لك يا ربّ وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ يقول: هذا القول بهتان عظيم.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: يذكّرُكم الله وينهاكم بآي كتابه, لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقّيكم الإفك الذي رُوي عليها بألسنتكم, وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا. إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19578- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قال: والذي هو خيرٌ لنا من هذا, أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه, لولا أن الله أعلمنا لهلكنا كما هلك القوم, أن يقول الرجل: أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوّله, فكان خيرا حين أعلمناه الله, لئلا ندخل في مثله أبدا, وهو عند الله عظيم. وقوله: وَيُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ: ويفصّل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه, ليتبين المطيع له منكم من العاصي, والله عليم بكم وبأفعالكم, لا يخفى عليه شيء, وهو مجاز المحسنَ منكم بإحسانه والمسيء بإساءته, حكيم في تدبير خلقه وتكليفه ما كلّفهم من الأعمال وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم, لهم عَذَابٌ أليمٌ يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا, بالحدّ الذي جعله الله حدّا لرامي المحصَناتِ والمحصَنين إذا رموهم بذلك, وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مُصِرّا على ذلك غير تائب. كما:

19579- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: يُحِبّونَ أنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ قال: تظهر في شأن عائشة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19580- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ الّذِينَ يُحِبّونَ أنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قال: الخبيث عبد الله بن أبيّ ابن سَلول, المنافق, الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية, لهم عَذَابٌ أليمٌ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ قال: تظهر يتحدّث عن شأن عائشة.

وقوله: وَاللّهُ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذبَ الذين جاءوا بالإفك من صدقهم, وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لأنكم لا تعلمون الغيب, وإنما يعلم ذلك علاّم الغيوب. يقول: فلا تَرُوُوا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله, ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتهلكوا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ يُحِبّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضّل الله عليكم أيها الناس ورحمكم, وأن الله ذو رأفة, ذو رحمة بخلقه, لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتْكم من الله العقوبة. وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده, وهو قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطانِ... الآية.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنّ اللّهَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره, بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذا عتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به, فإن الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول.

وقد بيّنا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـكِنّ اللّهَ يُزَكّي مَن يَشَآءُ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم, ما تَطَهّر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه, ولكن الله يطهّر من يشاء من خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19581- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه, ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه.

19582- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا قال: ما زكى: ما أسلم. وقال: كلّ شيء في القرآن من «زكى» أو «تَزَكّي» فهو الإسلام.

وقوله: وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتَلَقّوْنه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم, عليم بذلك كله وبغيره من أموركم, محيط به محصيه عليكم, ليجازيَكم بكل ذلك.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسّعَةِ أَن يُؤْتُوَاْ أُوْلِي الْقُرْبَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوَاْ أَلاَ تُحِبّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول تعالى ذكره: ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم, يعني ذوي التفضل والسّعة يقول: وذوو الجِدَة.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: وَلا يأْتَلِ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وَلا يَأْتَلِ بمعنى: يفتعل من الأَلِيّة, وهي القسم بالله سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم, فإنه ذُكِر عنهما أنهما قرآ ذلك: «وَلا يَتَأَلّ» بمعنى: يتفعّل, من الأَلِية.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ولا يأتَل بمعنى يفتعل من الأَلِية وذلك أن ذلك في خطّ المصحف كذلك, والقراءة الأخرى مخالفة خطّ المصحف, فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القرّاء وصحّة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله. وإنما عُنِي بذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مِسْطَح, فقال جلّ ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألاّ يُعْطُوا ذَوِي قَرابتهم فيصِلوا به أرحامهم, كمِسْطح, وهو ابن خالة أبي بكر. والمساكين: يقول: وذوي خَلّة الحاجة, وكان مِسْطح منهم, لأنه كان فقيرا محتاجا. والمهاجرين في سبيل الله وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله, وكان مِسْطَح منهم لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة, وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا. وَلْيَعْفُوا يقول وليعفُوا عما كان منهم إليهم من جُرم, وذلك كجرم مِسْطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك. وَلْيَصْفَحُوا يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك, بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك, ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم. ألا تُحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم, فيترك عقوبتكم عليها. وَاللهُ غَفُورٌ لذنوب من أطاعه واتبع أمره, رحيم بهم أن يعذّبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه, على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا إليه من فعلها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19583- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, عن عَلقمة بن وقّاص الليثيّ, وعن سعيد بن المسيب, وعن عروة بن الزبير, وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة, عن عائشة. قال: وثني ابن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزّبير, عن أبيه, عن عائشة. قال: وثني ابن إسحاق, قال: ثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ, عن عمرة بنت عبد الرحمن, عن عائشة, قالت: لما نزل هذا يعني قوله: إنّ الّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ في عائشة, وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر, وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال وأدخل عليها ما أدخل قالت: فأنزل الله في ذلك: وَلا يأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ... الآية. قالت: فقال أبو بكر: والله إني لأحبّ أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقتَه التي كان يُنفِق عليه, وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

19584- حدثني عليّ, قال حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ يقول: لا تُقْسِموا ألاّ تنفعوا أحدا.

19585- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ... إلى آخر الآية, قال: كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَمَوا عائشة بالقبيح وأفشَوا ذلك وتكلوا به, فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيهم أبو بكر, ألاّ يتصدّق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله, فقال: لا يُقْسِم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك. فأمر الله أن يُغْفَر لهم وأن يُعْفَى عنهم.

19586- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ: لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء, قال أبو بكر وآخرون من المسلمين: والله لا نصل رجلا منهم تَكَلّم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه فأنزل الله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعة يقول: ولا يحلف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولي القُرْبَى قال: كان مِسْطَح ذا قرابة. والَمَساكِينَ قال: كان مسكينا. وَالمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ كان بدْريّا.

19587- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسّعَةِ قال: أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حِجْره كان أشاع ذلك. فلما نزلت هذه الآية قال: بلى أنا أحبّ أن يغفر الله لي, فَلاكوننّ ليتيمي خيرَ ما كنت له قطّ.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُواْ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ بالفاحشة المُحْصَناتِ يعني العفيفات الغافِلاتِ عن الفواحش المُؤْمِناتِ بالله ورسوله, وما جاء به من عند الله, لُعِنُوا فِي الدّنيْا والآخِرَةِ يقول: أُبْعِدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة. وَلَهُمْ في الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ وذلك عذاب جهنم.

واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن, فقال بعضهم: إنما ذلك لعائشة خاصة, وحكم من الله فيها وفيمن رماها, دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19588- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا خَصِيف, قال: قلت لسعيد بن جُبير: الزنا أشدّ أم قذف المحصَنة؟ فقال: الزنا. فقلت: أليس الله يقول: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ... الآية؟ قال سعيد: إنما كان هذا لعائشة خاصة.

19589- حدثنا أحمد بن عبدة الضبي, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عمر بن أبي سَلَمة, عن أبيه, قال: قالت عائشة: رُمِيت بما رُمِيت به وأنا غافلة, فبلغني بعد ذلك, قالت: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس, إذ أُوحي إليه, وكان إذا أوحي إليه أخذه كهيئة السّبات. وإنه أُوحي إليه وهو جالس عندي, ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه, وقال: «يا عائشة أبْشِري» قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك فقرأ: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ... حتى بلغ: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ.

وقال آخرون: بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر النساء غيرهنّ. ذكر من قال ذلك:

19590- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ... الآية, أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية في شأن عائشة, وعُني بها كلّ من كان بالصفة التي وصف الله هذه الآية. قالوا: فذلك حكم كلّ من رَمى محصنة لم تقارف سُوءا. ذكر من قال ذلك:

19591- حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, عن جعفر بن برقان, قال: سألت ميمونا, قلت: الذي ذكر الله: الّذينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأصْلَحُوا فإنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فجعل في هذه توبة, وقال في الأخرى: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ... إلى قوله: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟ قال ميمون: أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت, وأما هذه فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك.

19592- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن حوشب, عن شيخ من بني أسد, عن ابن عباس, قال: فسّر سورة النور, فلما أتى على هذه الآية: إنّ الّذِينَ يرْمُونَ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ... الآية, قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, وهي مبهمة, وليست لهم توبة. ثم قرأ: وَالّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يَأتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْد ذلك وأصْلَحُوا... الآية, قال: فجعل لهؤلاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

توبة, ولـم يجعل لـمن قذف أولئك توبة. قال: فهمّ بعض القوم أن يقوم إلـيه فـيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور.

19593- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِـي الدّنـيْا والآخِرَةِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ قال: هذا فـي عائشة, ومن صنع هذا الـيومَ فـي الـمسلـمات فله ما قال الله, ولكن عائشة كانت إمام ذلك.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية فـي أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فكان ذلك كذلك حتـى نزلت الآية التـي فـي أوّل السورة فأوجب الـجَلْد وقبل التوبة. ذكر من قال ذلك:

19594- حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي قال: حدثنا أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: إنّ الّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِنات... إلـى: عَذَابٌ عَظِيـمٌ يعنـي أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم, رماهنّ أهل النفـاق, فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وبـاءوا بسخط من الله. وكان ذلك فـي أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم, ثم نزل بعد ذلك: وَالّذِينَ يَرْمُونَ الـمُـحْصَنَاتِ ثُمّ لَـمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلـى قوله: فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيـمٌ فأنزل الله الـجلد والتوبة, فـالتوبة تُقبل, والشهادة تردّ.

وأولـى هذه الأقوال فـي ذلك عندي بـالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية فـي شأن عائشة, والـحكم بها عامّ فـي كلّ من كان بـالصفة التـي وصفه الله بها فـيها.

وإنـما قلنا ذلك أولـى تأويلاته بـالصواب, لأن الله عمّ بقوله: إنّ الّذِينَ يَرمُونَ الـمُـحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الـمُؤْمِناتِ كلّ مـحصنة غافلة مؤمنة رماها رام بـالفـاحشة, من غير أن يحضّ بذلك بعضا دون بعض, فكلّ رام مـحصنة بـالصفة التـي ذكر الله جلّ ثناؤه فـي هذه الآية فملعون فـي الدنـيا والآخرة وله عذاب عظيـم, إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفـاته, فإن الله دلّ بـاستثنائه بقوله: إلاّ الّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأصْلَـحُوا علـى أن ذلك حكم رامي كل مـحصنة بأيّ صفة كانت الـمـحصنة الـمؤمنة الـمرمية, وعلـى أن قوله: لُعِنُوا فـي الدّنـيْا والآخِرَةِ, وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولـم يتوبوا.

الآية : 24

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولهم عذاب عظيـم يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَـيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ فـ«الـيوم» الذي فـي قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَـيْهِمْ من صلة قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ. وعُنِـي بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَـيهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ يوم القـيامة وذلك حين يجحد أحدهما ما اكتسب فـي الدنـيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها, فـيختـم الله علـى أفواههم, وتشهد علـيهم أيديهم وأرجلهم بـما كانوا يعملون.

فإن قال قائل: وكيف تشهد علـيهم ألسنتهم حين يختـم علـى أفواههم؟ قـيـل: عُنِـي بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد إلـى بعض, لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختـم علـى الأفواه. وقد:

19595- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو, عن درّاج, عن أبـي الهيثمي, عن أبـي سعيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ عُرِفَ الكافِرُ بعَمَلِهِ, فَجَحَدَ وَخاصَمَ, فَيُقالُ لَهُ: هَؤُلاءِ جيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَـيْكَ, فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ, فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أتَـحْلِفُونَ؟ فَيَحْلِفُونَ. ثُمّ يُصْمِتُهُمُ اللّهُ, وتَشْهَدُ ألْسِنَتُهُمْ, ثُمّ يُدْخِـلُهُمُ النّارُ».

الآية : 25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقّ وَيَعْلَمُونَ أَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ الْمُبِينُ }.

يقول تعالـى ذكره: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَـيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأيْدِيهِمْ وأرْجُلُهُمْ بِـمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يوفـيهم الله حسابهم وجزاءهم الـحقّ علـى أعمالهم. والدّين فـي هذا الـموضع: الـحساب والـجزاء, كما:

19596- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: يَوْمَئِذٍ يُوَفّـيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الـحَقّ يقول: حسابهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: الحَقّ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: دِينَهُمُ الحَقّ نصبا على النعت للدين, كأنه قال: يوفيهم الله أعمالهم حقّا. ثم أدخل في الحقّ الألف واللام, فنصب بما نصب به الدين. وذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «يُوَفّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقّ» برفع «الحقّ» على أنه من نعت الله.

19597- حدثنا بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا يزيد, عن جرير بن حازم, عن حميد, عن مجاهد, أنه قرأها «الحقّ» بالرفع. قال جرير: وقرأتها في مصحف أُبيّ بن كعب يُوَفّيهِمُ اللهُ الحَقّ دِينَهُمْ.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, وهو نصب «الحقّ» على إتباعه إعراب «الدين» لإجماع الحجة عليه.

وقوله: وَيَعْلَمُونَ أنّ اللّهَ هُوَ الحَقّ المُبِينُ يقول: ويعلمون يومئذٍ أن الله هو الحقّ الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب, ويزول حينئذٍ الشكّ فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يَعِدُهم في الدنيا يمترون.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطّيّبَاتُ لِلطّيّبِينَ وَالطّيّبُونَ لِلْطّيّبَاتِ أُوْلَـئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ لَهُم مّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه: الخبيثات من القول للخبثيين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول. ذكر من قال ذلك:

19598- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الخَبِيثاتُ للخَبِيثِينِ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول.

وقوله: والطّيّباتُ للطّيّبِينَ يقول: الطيبات من القول للطيبين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبات من القول. نزلت في الذين قالوا في زوجة النبيّ صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان. ويقال: الخبيثات للخبيثين: الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين, والطيبات من الأعمال تكون للطيبين.

19599- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والطيبات من الكلام للطيبين من الناس.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

19600- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح, في قول الله: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ لِلطّيّباتِ قال: الطيبات: القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات: القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر. أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحقّ من الكلام.

19601- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ لِلطّيّبِينَ والطّيّبُونَ لِلطّيّباتِ يقول: الخبيثات والطيبات: القول السيء والحسن للمؤمنين الحسن وللكافرين السيء. أُولَئِكَ مُبَرءُونَ مِمّا يَقُولُونَ وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين, وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين, كلّ برىء مما ليس بحقّ من الكلام.

19602- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الخَبِيثاتُ للْخَبِيثِينَ قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام.

حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد, مثله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19603- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ... الآية, يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبات من القول. فهذا في الكلام, وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا, هم الخبيثون. والطيبون هم المبرّءون مما قال الخبيثون.

19604- حدثنا أبو زرعة, قال حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سلمة, يعني ابن نبيط الأشجعيّ, عن الضحاك: الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِين قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والطيبات من الكلام للطيبين من الناس.

19605- قال: حدثنا قبيصة, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود, عن مجاهد: الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ لِلْخَبيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّباتِ قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول.

19606- قال: حدثنا عن خصيف, عن سعيد بن جبير, قال: الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ والطّيّبَاتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّبَاتِ قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول.

19607- قال: ثني محمد بن بكر بن مقدم, قال: أخبرنا يحيى بن سعيد, عن عبد الملك, يعني ابن أبي سليمان, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن سعيد بن جبير, عن مجاهد: والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس.

19608- قال: حدثنا عباس بن الوليد النّرسيّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: الخبِيثاتُ لِلْخَبيثِينَ والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّباتِ يقول: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل.

19609- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: الطيبات للطيبين, والطيبون للطيبات, قال: الطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول, والخبيثات من القول للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. ذكر من قال ذلك:

19610- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ والطّيّباتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطّيّبَاتِ قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفِرْية, فبرأها الله من ذلك. وكان عبد الله بن أُبي هو خبيث, وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكونَ لها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا, وكان أولى أن تكون له الطيبة. وكانت عائشة الطيبة, وكانَ أولى أن يكون لها الطيب. أُولَئِكَ مُبَرّءُون مِمّا يَقُولُونَ قال: هاهنا بُرّئت عائشة. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ.

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عَنَى بالخبيثات: الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء, والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى, لأنهم أهلها. والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحقّ بها.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية, لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك, والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات, وإخبارهم ما خَصّهم به على إفكهم, فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ يقول: الطيبون من الناس مبرّءون من خبيثات القول, إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم, وإن قيلت فيهم ضرّت قائلها ولم تضرّهم, كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبّله, ولو قيلت له لضرّته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة. كما:

19611- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث, يقول: يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح, فإنه يردّه الله عليه لا يقبله منه. وقد قيل: عُنِي بقوله: أُولَئِكَ مُبَرّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ عائشة وصفوان بن المعطّل الذي رُمِيت به. فعلى هذا القول قيل «أولئك» فجمع, والمراد «ذانك», كما قيل: فإن كان له إخوة, والمراد أخوان.

وقوله: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم, والخبيث من القول إن كان منهم. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يقول: ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة, وذلك الجنة, وما أُعِدّ لهم فيها من الكرامة. كما:

19612- حدثنا أبو زرْعة, قال: حدثنا العباس بن الوليد النّرسيّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّىَ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلّمُواْ عَلَىَ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ}.

اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم: تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا. ذكر من قال ذلك:

19613- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, أنه كان يقرأ: «لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهْلِها» قال: وإنما «تستأنسوا» وَهَمٌ من الكتاب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس في هذه الآية: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا على أهْلِها وقال: إنما هي خَطَأٌ من الكاتب: «حتى تستأذنوا وتسلموا».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير, بمثله, غير أنه قال: إنما هي حتى تستأذنوا, ولكنها سقط من الكاتب.

19614- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا معاذ بن سليمان, عن جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس: حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهْلِها قال: أخطأ الكاتب. وكان ابن عباس يقرأ: «حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلّمُوا» وكان يقرؤها على قراءة أُبيّ بن كعب.

19615- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش أنه كان يقرؤها: «حتى تَسْتأذِنوا وتُسَلّمُوا» قال سفيان: وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها: «حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلّمُوا» وقال: إنها خَطَأ من الكاتب.

19616- حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا على أهْلِها قال: الاستئناس: الاستئذان.

19617- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, قال: في مصحف ابن مسعود: «حتى تُسَلّموا عَلى أهْلِها وَتَسْتَأْذِنُوا».

قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: «يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تُسَلّمُوا عَلى أهْلِها وَتَسْتأذِنُوا» قال: وإنما تستأنسوا وَهم من الكُتّاب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19618- قال: حدثنا هشيم, قال مغيرة, قال مجاهد: جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرّمْضاء, فأتى فُسطاط امرأة من قريش, فقال: السلام عليكم, أدخل؟ فقالت: ادخل بسلام فأعاد, فأعادت, وهو يراوح بين قدميه, قال: قولي ادْخل قالت: ادخل فدخل.

19619- قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن ابن سيرين, وأخبرنا يونس بن عبيد, عن عمرو بن سعيد الثقفيّ: أنّ رجلاً استأذن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أَلِج أو أَنَلِج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها رَوْضة: «قومي إلى هَذَا فَكَلّمِيهِ, فإنّهُ لا يُحْسِنُ يَسْأَذِنُ, فَقُولي لَهُ يَقُولُ: السّلامُ عَلَيْكُمْ, أدْخُل؟» فسمعها الرجل, فقالها, فقال: «أُدْخُلْ».

19620- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: حتى تَسْتأْنِسوا قال: الاستئذان, ثم نُسخ واستثني: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ.

19621- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن المغيرة, عن إبراهيم, قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ قال: حتى تسلّموا على أهلها وتستأذنوا.

19622- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: حتى تَسْتَأْنِسُوا قال: حتى تستأذنوا وتسلّموا.

19623- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أشعث بن سوار, عن كردوس, عن ابن مسعود, قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأَخَواتكم.

قال أشعث عن عديّ بن ثابت: أن امرأة من الأنصار, قالت: يا رسول الله, إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحبّ أن يراني أحد عليها والد ولا ولد, وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال؟ قال: فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا على أهْلِها... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تُؤْنِسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه, حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم. ذكر من قال ذلك:

19624- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد, في قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهْلِها قال: حتى تتنحنحوا وتتنخموا.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

19625- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: حتى تَسْتَأْنِسُوا قال: حتى تجرّسوا وتسلموا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: حتى تَسْتَأْنِسُوا قال: تَنَحْنحوا وتَنَخّموا.

19626- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس, قال: ثلاث آيات قد جحدهنّ الناس, قال الله: إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا. قال: والإذن كله قد جحده الناس فقلت له: أستأذن على أَخَواتي أيتامٍ في حِجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم, فرددت على من حضرني, فأبى, قال: أتحبّ أن تراها عريانة؟ قلت: لا. قال: فاستأذِن فراجعته أيضا, قال: أتحبّ أن تطيع الله؟ قلت: نعم, قال: فاستأذِن فقال لي سعيد بن جُبير: إنك لَتُرَدّد عليه قلت: أردت أن يرخص لي.

19627- قال ابن جُرَيج: وأخبرني ابن طاوس, عن أبيه, قال: ما من امرأة أكره إليّ أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم. قال: وكان يشدّد في ذلك. قال ابن جُرَيج, وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا, فواجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس. قلت لعطاء: أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومَنْ وراءَها من ذات قرابته؟ قال: نعم. قلت: أبِرّ وَجَب؟ قال قوله: وَإذَا بَلَغَ الأطْفالُ مِنْكُمُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الـحُلُـمَ فَلْيَسْتأْذِنُوا. قال ابن جُرَيج: وأخبرنـي ابن زياد: أن صفوان مولـى لبنـي زُهْرة, أخبره عن عطاء بن يسار: أن رجلاً قال للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: أَسْتأذِنُ علـى أمي؟ قال: «نَعَمْ». قال: إنها لـيس لها خادم غيري, أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: «أتُـحبّ أنْ تَراها عُرْيانَةً؟» قال الرجل: لا. قال: «فاسْتأْذِنْ عَلَـيْها». قال ابن جُرَيج عن الزهريّ, قال: سمعت هزيـل بن شُرَحبـيل الأَوْدِيّ الأعمى, أنه سمع ابن مسعود يقول: علـيكم الإذن علـى أمهاتكم.

19628- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: أيستأذن الرجل علـى امرأته؟ قال: لا.

19629- حدثنا الـحسين, قال: حدثنا مـحمد بن حازم, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن يحيى بن الـجزّار, عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود, عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فـانتهى إلـى البـاب, تنـحنـح وبَزَق, كراهة أن يَهْجُم منا علـى أمر يكرهه.

19630- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فـي قول الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُـيُوتِكُمْ حتـى تَسْتأْنِسُوا قال: الاستئناس: التنـحنـح والتـجرّس, حتـى يعرفوا أن قد جاءهم أحد. قال: والتـجرّس: كلامه وتنـحنـحه.

والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس, وهو أن يستأذن أهل البـيت فـي الدخول علـيهم, مخبرا بذلك من فـيه, وهل فـيه أحد؟ ولـيؤذنهم أنه داخـل علـيهم, فليأنس إلـى إذنهم له فـي ذلك, ويأنسوا إلـى استئذانه إياهم. وقد حُكِي عن العرب سماعا: اذهب فـاستأنس, هل ترى أحدا فـي الدار؟ بـمعنى: انظر هل ترى فـيها أحدا؟

فتأويـل الكلام إذن, إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخـلوا بـيوتا غير بـيوتكم حتـى تسلـموا وتستأذنوا, وذلك أن يقول أحدكم: السلام علـيكم, أدخـل؟ وهو من الـمقدم الذي معناه التأخير, إنـما هو: حتـى تسلـموا وتستأذنوا, كما ذكرنا من الرواية عن ابن عبـاس.

وقوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: استئناسكم وتسلـيمكم علـى أهل البـيت الذي تريدون دخوله, فإن دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلـتموه بغير إذن, علـى ماذا تهجُمون؟ علـى ما يسوءكم أو يسرّكم؟ وأنتـم إذا دخلـتم بإذن, لـم تدخـلوا علـى ما تكرهون, وأدّيتـم بذلك أيضا حقّ الله علـيكم فـي الاستئذان والسلام. وقوله: لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: لتتذكروا بفعلكم ذلك أو الله علـيكم, واللازم لكم من طاعته, فتطيعوه.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَإِن لّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتّىَ يُؤْذَنَ لَكُمُ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىَ لَكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: فإن لـم تـجدوا فـي البـيوت التـي تستأذنون فـيها أحدا يأذن لكم بـالدخول إلـيها, فلا تدخـلوها, لأنها لـيست لكم, فلا يحلّ لكم دخولها إلا بإذن أربـابها, فإن أذن لكم أربـابها أن تدخـلوها فـادخـلوها. وَإِنْ قِـيـلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فـارْجِعُوا يقول: وإن قال لكم أهل البـيوت التـي تستأذنون فـيها ارجعوا فلا تدخـلوها, فـارجعوا عنها ولا تدخـلوها هُوَ أَزْكَى لَكُمْ يقول: رجوعكم عنها إذا قـيـل لكم ارجعوا, ولـم يؤذن لكم بـالدخول فـيها, أطهر لكم عند الله. وقوله: هُوَ كناية من اسم الفعل, أعنى من قوله: فـارْجِعُوا. وقوله: وَاللّهُ بِـمَا تَعْمَلُونَ عَلِـيـمٌ يقول جلّ ثناؤه: والله بـما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فـي بويت غيركم إذا قـيـل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فـيـما أمركم ونهاكم فـي ذلك وغيره من أمره ونهيه, ذو علـم مـحيط بذلك كله, مُـحْصٍ جميعه علـيكم, حتـى يجازيَكم علـى جميع ذلك. وكان مـجاهد يقول فـي تأويـل ذلك ما:

19631- حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فإنْ لَـمْ تَـجِدُوا فِـيها أحَدا قال: إن لـم يكن لكم فـيها متاع, فلا تدخـلوها إلا بإذن. وَإنْ قِـيـلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فـارْجِعُوا.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19632- قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا هاشم بن القاسم المزنيّ, عن قَتادة, قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني, فيقول لي: ارجع, فأرجع وأنا مغتبط, لقوله: وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا هُوَ أزْكَى لَكُمْ.

وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله: فإنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أحَدا بمعنى: إن لم يكن لكم فيها مَتاع, قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد, إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم. وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ليس عليكم أيها الناس إثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان.

ثم اختلفوا في ذلك أيّ البيوت عَنَى, فقال بعضهم: عَنعى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون, وإنما بنيت لمارّة الطريق والسابلة ليأوُوا إليها ويُؤْوُوا إليها أمتعتهم. ذكر من قال ذلك:

19633- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن سالم المكّيّ, عن محمد ابن الحنفية, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي الخانات التي تكون في الطرق.

19634- حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا عمر بن فَرّوخ, قال: سمعت قَتادة يقول: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.

19635- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا, فرُخّص لهم أن يدخلوها.

19636- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي البيوت التي ينزلها السّفْر, لا يسكنها أحد.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بُيُوتا غيرَ مسْكُونَةٍ قال: كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد, فأحلّ لهم أن يدخلوها بغير إذن.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شكّ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله, غير أنهقال: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة.

19637- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مسْكُونَةٍ هي البيوت التي ليس لها أهل, وهي البيوت التي يكون بالطرق والخَرِبة. فِيها مَتاعٌ منفعة للمسافر في الشتاء والصيف, يأوي إليها.

وقال آخرون: هي بيوت مكة. ذكر من قال ذلك:

19638- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن سعيد بن سائق, عن الحجاج بن أرطاة, عن سالم بن محمد ابن الحنفية, في: بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ قال: هي بيوت مكة.

وقال آخرون: هي البيوت الخَرِبة. والمتاع الذي قال الله لكم فيها قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19639- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء يقول: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: الخلاء والبول.

19640- حدثني محمد بن عُمارة, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا حسن بن عيسى بن زيد, عن أبيه, في هذه الآية: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: التخلّي في الخراب.

وقال آخرون: بل عني بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس. ذكر من قال ذلك:

19641- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فيها مَتاعٌ لَكُمْ قال: بيوت التجار, ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن, الحوانيت التي بالقَيساريات والأسواق. وقرأ: فِيها مَتاعٌ لَكُمْ متاع للناس, ولبني آدم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ بقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ كلّ بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن لأن الإذن إنما يكون ليؤْنَس المأذون عليه قبل الدخول, أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا أو كان فيه ساكنا. فأما إن كان لا مالك له, فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه, فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه, لئلا يهجُم على ما لا يحبّ رؤيته منه, فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك, فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض, فكلّ بيت لا مالك له ولا ساكن من بين مبنيّ ببعض الطرق للمارّة والسابلة ليأووا إليه, أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه, حيث كان ذلك, فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان, لمتاع له يؤويه إليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك. وأما بيوت التجار, فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها.

فإن ظنّ ظانّ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذِن لمن أراد الدخول عليه في دخوله, فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه, لا سيما إذا كان فيه متاع فإن كان التاجر قد عُرِف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول, فذلك بعدُ رجع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك, لم يكن من معنى قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ في شيء, وذلك أن التي وضع الله عنا الجُناح في دخولها بغير إذن من البيوت, هي ما لم يكن مسكونا, إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه وهو مع ذلك مسكون, فتبين أنه مما عَنَى الله من هذه الآية بمعزل.

وقال جماعة من أهل التأويل: هذه الآية مستثناة من قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا على أهْلِها. ذكر من قال ذلك:

19642- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتَكُمْ ثم نسخ واستثنى فقال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ.

19643- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة: حتى تَستأنِسُوا... الآية, فنُسخ من ذلك, واستُثني فقال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ. وليس في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ دلالة على أنه استثناء من قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتأْنِسُوا لأن قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتأْنِسُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهْلِها حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب. وقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون, فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر, وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه في الفعل أو النفس, فأما إذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه. وقوله: وَاللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ يقول تعالى ذكره: والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة, وَما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تَكْتُمُونَ يقول: وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به: إطاعة الله والانتهاء إلى أمره, أم غير ذلك؟

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىَ لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ للمؤْمِنينَ بالله وبك يا محمد يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه مما قد نهاهم الله عن النظر إليه. وَيحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ أن يراها مَنْ لا يحلّ له رؤيتها, بلبس ما يسترها عن أبصارهم. ذلكَ أزْكَى لَهُمْ يقول: فإنّ غضها من النظر عما لا يحلّ النظر إليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين, أطهر لهم عند الله وأفضل. إنّ اللّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غضّ أبصاركم عما أمركم بالغضّ عنه وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19644- حدثني عليّ بن سهل الرّمليّ, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية في قوله: قُلْ للْمُؤمِنينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ قال: كل فرج ذُكِر حفظة في القرآن فهو من الزنا, إلا هذه: وَقُلْ للْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ فإنه يعني الستر.

19645- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قُلْ للْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ وَقُلْ للْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيحفَظْنَ فُرُوجَهُنّ قال: يغضوا أبصارهم عما يكره الله.

19646- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ للْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ قال: يغضّ من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحلّ له, إذا رأى ما لا يحلّ له غضّ من بصره, لا ينظر إليه, ولا يستطيع أحد أن يغضّ بصره كله, إنما قال الله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أَوْ آبَآئِهِنّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ أَبْنَآئِهِنّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِيَ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنّ أَوْ نِسَآئِهِنّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنّ أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرّجَالِ أَوِ الطّفْلِ الّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىَ عَوْرَاتِ النّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ وَتُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ يا محمد للْمُؤْمِناتِ من أمتك يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ يقول: ويحفظن فروجهنّ على أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها, بلبس ما يسترها عن أبصارهم.

وقوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ يقول تعالى ذكره: ولا يُظْهِرن للناس الذين ليسوا لهنّ بمحرم زينتهنّ, وهما زينتان: إحداهما: ما خفي, وذلك كالخَلْخال والسّوارين والقُرْطَين والقلائد. والأخرى: ما ظهر منها, وذلك مختلف في المعنىّ منه بهذه الآية, فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة. ذكر من قال ذلك:

19647- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن الحجاج, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن ابن مسعود, قال: الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب, وما خفي: الخلخالان والقُرطان والسّواران.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19648- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني الثوريّ, عن أبي إسحاق الهمدانيّ, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, أنه قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها: قال: هي الثياب.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثياب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, مثله.

قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن عبد الله, مثله.

19649- قال: حدثنا سفيان, عن علقمة, عن إبراهيم, في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها: قال: الثياب.

19650- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا بعض أصحابنا إما يونس, إوما غيره عن الحسن, في قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثياب.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الثياب.

قال أبو إسحاق: ألا ترى أنه قال: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ؟.

19651- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا محمد بن الفضل, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن ابن مسعود: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: هو الرداء.

وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديه: الكحل, والخاتم, والسواران, والوجه. ذكر من قال ذلك:

19652- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مروان, قال: حدثنا مسلم المَلائي, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل والخاتم.

19653- حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأمُليّ, قال: حدثنا مروان, عن مسلم المَلائيّ, عن سعيد بن جُبير, مثله, ولم يذكر ابن عباس.

19654- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن أبي عبد الله نهشل, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: الظاهر منها: الكحل والخَدّان.

19655- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمز, عن سعيد بن جُبير, في قوله: وَلايُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الوجه والكفّ.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن عبد الله بن مسلم بن هُرمز المكيّ, عن سعيد بن جُبير, مثله.

19656- حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا أبو عمرو, عن عطاء في قول الله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكفّان والوجه.

19657- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ عن سعيد, عن قَتادة قال: الكحل, والسوران والخاتم.

19658- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: والزينة الظاهرة: الوجه, وكُحل العين, وخِضاب الكفّ, والخاتم فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها.

19659- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: المسكتان والخاتم والكحل. قال قتادة: وبلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحِلّ لِامْرأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُخْرِجَ يَدَها إلاّ إلى هَا هُنا». وقبض نصف الذراع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19660- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن رجل, عن المِسْورَ بن مخرمة, في قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: القلبين, والخاتم, والكحل: يعني السوار.

19661- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الخاتم والمَسَكة. قال ابن جُرَيج, وقالت عائشة: القُلْب والفَتْخَة, قالت عائشة: دخلت عليّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزينّة, فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأعرض, فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية. فقال: «إذا عَرَكَت المرأة لم يحلّ لها أن تظهر إلا وَجْهها, وإلاّ ما دون هذا», وقبض على ذراع نفسه, فترك بين قبضته وبين الكفّ مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علي قال ابن جُرَيج, وقال مجاهد: قوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل والخضاب والخاتم.

19662- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عاصم, عن عامر: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكحل, والخضاب, والثياب.

19663- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها من الزينة: الكحل, والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس.

19664- حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمر بن أبي سلمة, قال: سئل الأوزاعي عن: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الكفّين والوجه.

19665- حدثنا عمرو بن بندق, قال: حدثنا مروان, عن جُويبر, عن الضحاك في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ قال: الكفّ والوجه.

وقال آخرون: عَنَى به الوجه والثياب. ذكر من قال ذلك:

19666- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: قال يونس: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال الحسن: الوجه والثياب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, وعبد الأعلى, عن سعيد, عن قَتادة, عن الحسن, في قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها قال: الوجه والثياب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عُنِي بذلك الوجهُ والكفان, يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل, والخاتم, والسّوار, والخِضاب.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل, لإجماع الجميع على أن على كلّ مصلّ أن يستر عورته في صلاته, وأن المرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها, وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها إلا ما رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديَه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذ كان ذلك من جميعهم إجماعا, كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره. وإذا كان لها إظهار ذلك, كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله: إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها, لأن كل ذلك ظاهر منها.

وقوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيُوبِهِنّ يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرَهنّ, وهي جمع خمار, على جيوبهنّ, ليسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهن وقُرْطَهُنّ.

19667- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن إبراهيم بن نافع, قال: حدثنا الحسن بن مسلم بن يناق, عن صفية بنت شيبة, عن عائشة, قالت: لما نزلت هذه الآية: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيوبِهِنّ قال: شققن البُرْدَ مما يلي الحواشي, فاختمرن به.

19668- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, أن قرة بن عبد الرحمن, أخبره, عن ابن شهاب, عن عروة, عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيُوبِهِنّ شققن أكثف مروطهنّ, فاختمرن به.

وقوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ يقول تعالى ذكره: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها, وذلك الخَلخال والقُرط والدّمْلُج, وما أُمرت بتغطيته بخمارها من فوق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الـجيب, وما وراء ما أبـيح لـها كشفه وإبرازه فـي الصلاة وللأجنبـيين من الناس, والذراعين إلـى فوق ذلك, إلاّ لبعولتهنّ.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل ذلك قال أهل التأويـل.) ذكر من قال ذلك:

19669- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن طلـحة بن مُصَرّف, عن إبراهيـم: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أوْ آبـائِهِنّ قال: هذه ما فوق الذراع.

19670- حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, قال: سمعت رجلاً يحدّث عن طلـحة, عن إبراهيـم, قال فـي هذه الآية: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أوْ آبـائِهِنّ أو آبـاء بُعُولَتِهِنّ قال: ما فوق الـجيب. قال شعبة: كتب به منصور إلـيّ, وقرأته علـيه.

19671- حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن سعيد بن أبـي عروبة, عن قَتادة, فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ قال: تبدي لهؤلاء الرأس.

19672- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ... إلـى قوله: عَوْرَاتِ النّساءِ قال: الزينة التـي يبدينها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسِوارها, فأما خـلـخالاها ومِعْضدَاها ونـحرها وشعرها فإنه لا تبديه إلا لزوجها.

19673- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال ابن مسعود, فـي قوله: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ قال: الطوق والقُرْطين, يقول الله تعالـى ذكره: قل للـمؤمنات الـحرائر لا يظهرن هذه الزينة الـخفية التـي لـيست بـالظاهرة إلا لبعولتهنّ, وهم أزواجهن, واحدهم: بعل, أو لآبـائهنّ, أو لأبناء بعولتهن, أو لإخوانهن, أو لبنـي إخوانهن.

ويعنـي بقوله: أوْ لإخْوَانِهِنّ أو لإخْوَاتِهِنّ, أو لبنـي إخوانهن, أو بنـي أخواتهن, أو نسائهم. قـيل: عُنـي بذلك نساء الـمسلـمين. ذكر من قال ذلك:

19674- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: أوْ نِسائِهِنّ قال: بلغنـي أنهنّ نساء الـمسلـمين, لا يحلّ لـمسلـمة أن ترى مشركة عُرْيتها إلا أن تكون أمة لها, فذلك قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيـمانُهُنّ.

19675- قال: ثنـي الـحسين, قال: ثنـي عيسى بن يونس, عن هشام بن الغازي, عن عبـادة بن نسيّ, أنه كره أن تقبل النصرانـية الـمسلـمة, أو ترى عَوْرتها, ويتأوّل: أو نسائهنّ.

19676- قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هشام, عن عبـادة, قال: كتب عمر بن الـخطاب إلـى أبـي عُبـيدة بن الـجرّاح رحمة الله علـيهما: أما بعد, فقد بلغنـي أن نساء يدخـلن الـحمامات ومعهنّ نساء أهل الكتاب, فـامنع ذلك وْحُلْ دونه قال: ثم إن أبـا عُبـيدة قام فـي ذلك الـمقام مبتهلاً: اللهمّ أيـما امرأة تدخـل الـحمام من غير علة ولا سقم تريد البـياض لوجهها, فسوّد وجهها يوم تبـيضّ الوجوه.

وقوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيـمانُهُنّ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: أو مـمالـيكهنّ, فإنه لا بأس علـيها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء. ذكر من قال ذلك:

19677- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرنـي عمرو بن دينار, عن مخـلد التـميـميّ, أنه قال, فـي قوله: أوْ ما مَلَكَتْ أيـمْانُهُنّ قال: فـي القراءة الأولـى: «أيـمانكم».

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيـمانهنّ من إماء الـمشركين, كما قد ذكرنا عن ابن جُرَيج قبل من أنه لـما قال: أوْ نِسائهنّ عَنَى بهنّ النساء الـمسلـمات دون الـمشركات, ثم قال: أو ما ملكت أيـمانهنّ من الإماء الـمشركات.

يقول تعالـى ذكره: والذين يَتْبَعونكم لطعام يأكلونه عندكم, مـمن لا أرب له فـي النساء من الرجال, ولا حاجة إلـيهنّ, ولا يريدهنّ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19678- حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: كان الرجل يتبع الرجل فـي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الزمان الأوّل لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده, وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

19679- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أَوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ فهذا الرجل يتبع القوم, وهو مُغَفّل في عقله, لا يكترث للنساء ولا يشتهيهنّ, فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسِواراها وأما خَلْخالاها ومِعْضداها ونحرها وشعرها, فإنها لا تبديه إلا لزوجها.

19680- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: أوِ التّابِعِينَ قال: هو التابع يتبعك يصيب من طعامك.

19681- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَيّة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ الذين لا يهمهم إلا بطونهم, ولا يُخافون على النساء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19682- حدثنا إسماعيل بن موسى السّديّ, قال: حدثنا شريك, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: غيرِ أُولى الإرْبَةِ قال: الأَبْلَه.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قوله: غيرِ أُولي الإرْبَةِ قال: هو الأبلَه, الذي لا يعرف شيئا من النساء.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ الذي لا أرب له بالنساء مثل فلان.

19683- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق عمن حدثه, عن ابن عباس: غير أُولى الإرْبَةِ قال: هو الذي لا تستحي منه النساء.

19684- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغَيرة, عن الشعبيّ: غير أُولى الإرْبَةِ قال: من تَبَع الرجل وحشمه الذي لم يبلغ أَرَبه أن يطلع على عَورة النساء.

19685- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, عن المغيرة, عن الشعبيّ: غيرِ أُولى الإرْبَةِ قال: الذي لا أرب له في النساء.

19686- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا حماد بن سَلَمة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, قال: المعتوه.

19687- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الزهريّ في قوله: أوِ التّابِعِينَ غَيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ قال: هو الأحمق, الذي لا همّة له بالنساء ولا أرب.

19688- وبه عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, في قوله: غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرّجالِ يقول: الأحمق, الذي ليست له همة في النساء.

19689- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: الذي لا حاجة له في النساء.

19690- حدثني يونس, اقل: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوَ التّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرجالِ قال: هو الذي يَتْبَع القوم, حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم, وليس يتبعهم لإربة نسائهم, وليس له في نسائهم إربة, وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه.

19691- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن عروة, عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم مُخَنّث, فكانوا يعدّونه من غير أولي الإربة, فدخل عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ينعت امرأة, فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع, وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبـيّ صلى الله عليه وسلم: «لا أرَى هَذَا يَعْلَـمُ ما هَا هُنا, لا يَدْخُـلَنّ هَذَا عَلَـيْكُمْ»فحَجَبُوه.

19692- حدثنـي سعد بن عبد الله بن عبد الـحكَم الـمِصريّ, قال: حدثنا حفص بن عمر العَدَنـيّ, قال: حدثنا الـحكم ابن أبـان, عن عكرمة فـي قوله: أوِ التّابِعِينَ غيرِ أُولـى الإرْبَةِ قال: هو الـمُخَنّث الذي لا يقوم زُبّه.

واختلف القرّاء فـي قوله: غير أُولـي الإرْبَةِ فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض أهل الـمدينة والكوفة: «غيرَ أُولـى الإرْبَةِ» بنصب «غير» ولنصب «غير» ها هنا وجهان: أحدهما علـى القطع من «التابعين», لأن «التابعين» معرفة وغير نكرة, والآخر علـى الاستثناء, وتوجيه «غير» إلـى معنى «إلا», فكأنه قـيل: إلاّ. وقرأ غير من ذكرت بخفض غَيرِ علـى أنها نعت للتابعين, وجاز نعت «التابعين» ب«غير» و«التابعون» معرفة وغيرُ نكرة, لأن «التابعين» معرفة غير مؤقتة. فتأويـل الكلام علـى هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

والقول فـي ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا الـمعنى مستفيضةٌ القراءة بهما فـي الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن الـخفض فـي «غير» أقوى فـي العربـية, فـالقراءة به أعجب إلـيّ. والإربة: الفِعْلة من الأَرَب, الـمثل الـجِلسة من الـجُلوس, والـمِشية من الـمَشْي, وهي الـحاجة يقال: لا أرب لـي فـيك: لا حاجة لـي فـيك وكذا أَرِبْتُ لكذا وكذا: إذا احتـجت إلـيه, فأنا آرب له أَرَبـا. فأما الأُرْبة, بضم الألف: فـالعُقْدة.

وقوله: أوِ الطّفْلِ الّذِينَ لَـمْ يَظْهَرُوا علـى عَوْرَاتِ النّساءِ يقول تعالـى ذكره: أو الطفل الذين لـم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهنّ فـيظهروا علـيهن لصغرهنّ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19693- حدثنـي مـحمد, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: علـى عَوْرَاتِ النّساءِ قال: لـم يَدْروا ما ثَمّ, من الصّغَر قبل الـحُلُـم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

وقوله: ولا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ يقول تعالـى ذكره: ولا يجعلن فـي أرجلهنّ من الـحُلِـيّ ما إذا مَشَيْن أو حرّكنهنّ علـم الناس الذين مشين بـينهم ما يخفين من ذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19694- حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, عن أبـيه, قال: زعم حَضْرِميّ أن امرأة اتـخذت بُرَتَـيْن من فضة, واتـخذت جَزْعا, فمرّت علـى قوم, فضربت برجلها, فوقع الـخلـخال علـى الـجَزْع, فصوّت فأنزل الله: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ.

19695- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن السديّ, عن أبـي مالك: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: كان فـي أرجلهم خَرَز, فكنّ إذا مررن بـالـمجالس حرّكن أرجلهنّ لـيعلـم ما يُخْفين من زينتهنّ.

19696- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وَلا يَضْرِبنَ بأرْجُلِهِنّ فهو أن تَقَرَع الـخَـلْـخال بـالآخر عند الرجال, ويكون فـي رجلـيها خلاخـل فتـحرّكهنّ عند الرجال, فنهى الله سبحانه وتعالـى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

19697- حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: هو الـخَـلْـخال, لا تضرب امرأة برجلها لـيسمع صوت خَـلْـخالها.

19698- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنّ لِـيُعْلَـمَ ما يُخْفِـينَ مِنْ زِينَتِهِنّ قال: الأجراس من حُلِـيهّنّ يجعلنها فـي أرجلهنّ فـي مكان الـخلاخـل, فنهاهنّ الله أن يضربن بأرجلهنّ لتسمع تلك الأجراس.

وقوله: وَتُوبُوا إلـى الله جَمِيعا أيّها الـمُؤْمِنُونَ يقول تعالـى ذكره: وارجعوا أيها الـمؤمنون إلـى طاعة الله فـيما أمركم ونهاكم, من غَضّ البَصر وحفظ الفرج وتَرْك دخول بـيوت غير بـيوتكم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من غير استئذان ولا تسليم, وغير ذلك من أمره ونهيه. لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: لتفلحوا وتدركوا طَلِباتكم لديه, إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنْكِحُواْ الأيَامَىَ مِنْكُمْ وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم, ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم. والأيامَى: جمع أيّم, وإنما جمع أيامَى لأنها فعيلة في المعنى, فجُمعت كذلك كما جمعت اليتيمة: يتامَى ومنه قول جميل:

أُحِبّ الأيامَى إذْ بُثَيْنَةُ أيّمُواحْبَبْتُ لَمّا أنْ غَنِيتِ الغَوَانِيا

ولو جمعت أيائم كان صوابا. والأيّم يوصف به الذكر والأنثى, يقال: رجل أيّم, وامرأة أيّم وأيّمة: إذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر:

فإنْ تَنْكِحِي أنْكِحْ وَإنْ تَتَأيّمِيوإنْ كُنْتُ أفْتَى منكمُ أتَأيّمِ

إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يقول: إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامَى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهلَ فاقة وفقر, فإن الله يغنيهم من فضله, فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19699- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإمائِكُمْ قال: أمر الله سبحانه بالنكاح, ورغّبهم فيه وأمرهم أن يزوّجوا أحرارَهم وعبيدَهم, ووعدهم في ذلك الغنى, فقال: إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

19700- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا حسن أبو الحسن وكان إسماعيل بن صُبيح مَوْلى هذا قال: سمعت القاسم بن الوليد, عن عبد الله بن مسعود, قال: التمسوا الغنى في النكاح, يقول الله: إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءُ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

19701- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأنْكِحُوا الأيامَى مِنكُمْ قال: أيامى النساء: اللاتي ليس لهنّ أزواج.

وقوله: وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يقول جلّ ثناؤه: والله واسع الفضل جواد بعطاياه, فزوجوا إماءكم, فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء. عَلِيمٌ يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغنيّ, لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّىَ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مّن مّالِ اللّهِ الّذِيَ آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصّناً لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَن يُكْرِههُنّ فَإِنّ اللّهِ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولْيَسْتَعْفِف الّذِينَ لا يَجِدُون ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرّم الله عليهم من الفواحش, حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ سعة فَضْلِهِ, ويوسّع عليهم من رزقه.

وقوله: وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتابَ مِمّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ يقول جلّ ثناؤه: والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم, فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا.

واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا, وهل قوله: فَكاتِبُوهُم إنْ عَلِمْتُمْ فيهِمْ خَيْرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب؟ فقال بعضهم: فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا إذا سأله العبد ذلك. ذكر من قال ذلك:

19702- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: أواجب عليّ إذا علمت مالاً أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلاّ واجبا. وقالها عمرو بن دينار, قال: قلت لعطاء: أتأثِرُه عن أحد؟ قال: لا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19703- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن بكر, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, عن أنس بن مالك, أن سيرين, أراد أن يكاتبه فتلكّأ عليه, فقال له عمر: لتكاتبنه

19704- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال يريد إن يكاتب ألاّ يكاتبه.

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد, وإنما قوله: فَكاتِبُوهُمْ: نَدْب من الله سادَة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير, لا إيجاب. ذكر من قال ذلك:

19705- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال مالك بن أنس: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك, ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده. وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سُئل عن ذلك فقيل له: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا يتلو هاتين الآيتين: فإذَا حَلَلْتُمْ فاصْطادُوا فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا في الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ قال مالك: فإنما ذلك أمر أذِن الله فيه للناس, وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا. وقال الثوريّ: إذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه, فإن شاء السيد أن يكاتبه كاتبه, ولا يُجْبر السيد على ذلك.

19706- حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: ليس بواجب عليه أن يكاتبه, إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكاتبه إذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله: فَكاتِبُوهُمْ ظاهر أمر, وأمر الله فرضٌ الانتهاء إليه, ما لم يكن دليلٌ من كتاب أو سنة على أنه ندب, لما قد بيّنا من العلة في كتابنا المسمى «البيان عن أصول الأحكام».

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم, فهو القُدْرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه. ذكر من قال ذلك:

19707- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الكريم الجزري, عن نافع, عن ابن عمر: أنه كره أن يكاتِب مملوكه إذا لم تكن له حرفة, قال: تطعمني أوساخ الناس.

19708- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَكاتِبوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا يقول: إن علمتم لهم حيلة, ولا تلقوا مُؤْنتهم على المسلمين.

19709- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا أشهب, قال: سئل مالك بن أنس, عن قوله: فكاتبوهم إن علمتم فيه خيرا فقال: إنه ليقال: الخير القوة على الأداء.

19710- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن زيد, عن أبيه, قول الله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: الخير: القوة على ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء. ذكر من قال ذلك:

19711- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: صدقا ووفاء وأداء وأمانة.

19712- قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وطاوس, أنهما قالا في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قالا: مالاً وأمانة.

19713- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: أداء وأمانة.

19714- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة, قال: كان إبراهيم يقول في هذه الآية: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: صدقا ووفاء, أو أحدهما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19715- حدثنا أبو بكر, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء, في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: أداء ومالاً.

19716- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: قال عمرو بن دينار: أحسبه كل ذلك المال والصلاح.

19717- حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفيان: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِم خَيْرا يعني: صدقا ووفاء وأمانة.

19718- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا, قال: إن علمت فيه خيرا لنفسك, يؤدّي إليك ويصدّقك ما حدثك, فكاتبه.

وقال آخرون بل معنى ذلك: إن علمتم لهم مالاً.

19719- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا يقول: إن علمتم لهم مالاً.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.

19720- حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: لهم مالاً, فكاتبوهم.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

19721- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: إن علمتم لهم مالاً, كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت.

19722- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن زَاذان, عن عطاء بن أبي رَباح: فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: مالاً.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مجاهد, قال: إن علمتم عندهم مالاً.

19723- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني محمد بن عمرو اليافعيّ, عن ابن جُرَيج, أن عطاء بن أبي رَباح, كان يقول: ما نراه إلاّ المال, يعني قوله: إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا قال: ثم تلا: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْرا.

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه: فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوّة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجةُ إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد فأما المال وإن كان من الخير, فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أو له لا فيه, والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرا لا إذا علمنا عنده أو له, فلذلك لم نقل: إن الخير في هذا الموضع معنيّ به المال.

وقوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ يقول تعالى ذكره: وأعطُوهم من مال الله الذي أعطاكم.

ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه مَنْ هو؟ وفي المال أيّ الأموال هو؟ فقال بعضهم: الذي أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله هو مولَى العبد المكاتَب, ومال الله الذي أُمر بإعطائه منه هو مال الكِتابة, والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع.

وقال آخرون: بل ما شاء من ذلك المولى. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19724- حدثني عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عمران بن عيينة, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَمِيّ, عن عليّ في قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ربع المكاتبة.

حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, في قوله الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ربع الكتابة يحطّها عنه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَيَة, عن ليث, عن عبد الأعلى, عن أبي عبد الرحمن, عن عليّ رضي الله عنه, في قول الله: وآتوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الربع من أوّل نجومه.

قال: أخبرنا ابن عُلَية, قال: عطاء بن السائب, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الربع من مكاتبته.

19725- حدثنا محمد بن إسماعيل الأَحمسيّ, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: ثني عبد الملك بن أبي سليمان, عن عبد الملك بن أعين, قال: كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم, ثم وضع له الربع, ثم قال: لولا أني رأيت عليّا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع, ما وضعت لك شيئا.

19726- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الأعلى, عن أبي عبد الرحمن السّلَمي: أنه كاتب غلاما له على ألف ومِئتين, فترك الربع وأشهدني, فقال لي: كان صديقك يفعل هذا, يعني عليّا رضوان الله عليه, يتأوّل: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ.

19727- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك, قال: ثني فضالة بن أبي أمية, عن أبيه, قال: كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فاستقرض لي من حَفْصة مِئَتَي درهم. قلت: ألا تجعلها في مكاتبتي؟ قال: إني لا أدري أدرك ذاك أم لا.

19728- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, بلغني أنه كاتبه على مِئَة أوقية: قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك, قال: ذكرت ذلك لعكرِمة, فقال: هو قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ.

19729- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قول الله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ يقول: ضعوا عنهم من مكاتبتهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ يقول: ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه.

19730- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء, في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: مما أخرج الله لكم منهم.

19731- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: آتِهِم مما في يديك.

19732- حدثني الحسين بن عمرو العنقزي, قال: ثني أبي, عن أسباط, عن السديّ, عن أبيه, قال: كاتبتْني زينب بنت قيس بن مَخْرمة من بني المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف, فتركت لي ألفا وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا.

19733- حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا ابن مسعود الجريريّ, عن أبي نَضْرة, عن أبي سعيد, مولى أبي أَسِيد, قال: كاتبني أبو أَسِيد, على ثنتي عشرة مئة, فجئته بها, فأخذ منها ألفا وردّ عليّ مِئتين.

19734- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن عنبسة, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أوّل نجومه مخافة أن يعجِز فترجع إليه صدقته, ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحبّ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19735- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مَخْرَمة, عن أبيه, عن نافع, قال: كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم, فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف. ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له.

19736- قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال مالك: سمعت بعض أهل العلم يقول: إن ذلك أن يكاتب الرجل غلامه, ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمّى. قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت, وعلى ذلك أهل العلم وعملُ الناس عندنا.

19737- حدثني عليّ, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفيان: أحبّ إليّ أن يعطيه الربع أو أقلّ منه شيئا, وليس بواجب وأن يفعل ذلك حسن.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ رضي الله عنه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: هو ربع المكاتبة.

وقال آخرون: بل ذلك حضّ من الله أهل الأموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها والمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهمْ وفِي الرّقابِ قال: فالرّقاب التي جعل فيها أحد سُهْمان الصدقة الثمانية هم المكاتَبون, قال: وإياه عنى جلّ ثناؤه بقوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ: أي سَهمْهم من الصدقة. ذكر من قال ذلك:

19738- حدثنا ابن حميد, قال: ثني يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن ابن زيد, عن أبيه, قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: يحثّ الله عليه, يُعْطَوْنه.

19739- حدثني يعقوب, قال: ثني ابن عُلَية, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: حثّ الناسَ عليه مولاه وغيره.

19740- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن حماد, عن إبراهيم, في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: يعطِي مكاتَبَه وغيره, حَثّ الناس عليه.

19741- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هُشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم أنه قال في قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن مغيرة, عن إبراهيم: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: أمر المسلمين أن يُعْطُوهم مما آتاهم الله.

19742- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن زيد, عن أبيه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: ذلك في الزكاة على الوُلاة يعطونهم من الزكاة, يقول الله: وفِي الرّقابِ.

19743- قال: ثني ابن زيد, عن أبيه: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ قال: الفَيْء والصدقات. وقرأ قول الله: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالمَساكِينِ, وقرأ حتى بلغ: وفِي الرّقابِ فأمر الله أن يوفوها منه, فليس ذلك من الكتابة. قال: وكان أبي يقول: ماله وللكتابة هو من مال الله الذي فَرَض له فيه نصيبا.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني, وهو قول من قال: عَنَى به إيتاءَهم سهمهم من الصدقة المفروضة.

وإنما قلنا ذلك أولى القولين لأن قوله: وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الّذِي آتاكُمْ أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتَبِين من ماله الذي آتى أهل الأموال, وأمر الله فرض على عباده الانتهاءُ إليه, ما لم يخبرهم أن مراده النّدْب, لما قد بيّنا في غير موضع من كتابنا. فإذ كان ذلك كذلك, ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه نَدْب, ففرض واجب. وإذ كان ذلك كذلك, وكانت الحجة قد قامت أن لا حقّ لأحد في مال أحد غيره من المسلمين إلاّ ما أوجبه الله لأهل سُهمان الصدقة في أموال الأغنياء منهم, وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتَب من مكاتَبِه مالاً من مال سيد المكاتَب فيفاد أن الحقّ الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فُرِض على الأغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة, إذ كان لا حقّ في أموالهم لأحد سواها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّىَ يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مّن مّالِ اللهِ الّذِيَ آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصّناً لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَن يُكْرِههُنّ فَإِنّ اللهِ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: زَوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ولا تُكْرهوا إماءَكم على البغاء, وهو الزنا إنْ أرَدْنَ تَحَصّنا يقول: إن أردن تعففا عن الزنا. لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدّنْيا يقول: لتلتمسوا بإكراهكم إياهنّ على الزنا عَرَض الحياة, وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها. وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ يقول: ومن يُكْره فَتياته على البغاء, فإن الله من بعد إكراهه إياهن على ذلك, لهم غَفُورٌ رَحِيمٌ, ووِزْر ما كان من ذلك عليهم دونهن.

وذُكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول حين أكره أمته مُسَيكة على الزنا. ذكر من قال ذلك:

19744- حدثنا الحسن بن الصباح, قال: حدثنا حجاج بن محمد, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني أبو الزبير, أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: جاءت مُسَيْكة لبعض الأنصار فقالت: إن سيدي يكرهني على الزنا فنزلت في ذلك: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ على البِغاءِ.

19745- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن أبي سفيان عن جابر, قال: كانت جارية لعبد الله بن أبيّ ابن سَلول يقال لها مُسَيْكة, فآجرها أو أكرهها الطبريّ شكّ فأتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فشكَتْ ذلك إليه, فأنزل الله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصّنا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدّنْيا وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعني بهنّ.

19746- حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبْثَر, قال: حدثنا حصين, عن الشعبيّ, في قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ قال: رجل كانت له جارية تفجر, فلما أسلمت نزلت هذه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني أبو الزبير, عن جابر, قال: جاءت جارية لبعض الأنصار, فقالت: إن سيدي أكرهني على البغاء فأنزل الله في ذلك: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ.

19747- قال ابن جُرَيج: وأخبرني عمرو بن دينار, عن عكرمة, قال: أمة لعبد الله بن أُبيّ, أمرها فزنت, فجاءت ببُرْد, فقال لها: ارجعي فازني قالت: والله لا أفعل, إن يك هذا خيرا فقد استكثرت منه, وإن يك شرّا فقد آن لي أن أدعه. قال ابن جُرَيج, وقال مجاهد نحو ذلك, وزاد قال: البِغاء: الزنا. وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: للمكرَهات على الزنا, وفيها نزلت هذه الآية.

19748- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ: أن رجلاً من قريش أُسِر يوم بدر. وكان عبد الله بن أُبيّ أسره, وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعاذة, فكان القرشيّ الأسير يريدها على نفسها, وكانت مسلمة, فكانت تمتنع منه لإسلامها, وكان ابن أُبيّ يُكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشيّ فيطلب فِداء ولده, فقال الله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصّنا قال الزهريّ: وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْراهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: غفور لهنّ ما أُكْرِهن عليه.

19749- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد بن جُبير, أنه كان يقرأ: «فإنّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ لَهُنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

19750- حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلى البَغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصّنا يقول: ولا تكرهوا إماءكم على الزنا, فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهنّ غفور رحيم وإثمُهنّ على من أكرههنّ.

19751- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ... إلى آخر الآية, قال: كانوا في الجاهلية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يُكْرهون إماءكم على الزنا, يأخذون أجورهنّ, فقال الله: لا تكرهوهنّ على الزنا من أجل المَنالة في الدنيا, ومن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفور رحيم لهن يعني إذا أكرهن.

19752- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ على الزنا. قال: عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ أمر أمة له بالزنا, فجاءته بدينار أو بُبرد شكّ أبو عاصم فأعطته, فقال: ارجعي فازني بآخر فقالت: والله ما أنا براجعة, فالله غفور رحيم للمكْرَهات على الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه, إلاّ أنه قال في حديثه: أمر أمة له بالزنا, فزنت, فجاءته ببرد فأعطته. فلم يشُكّ.

19753- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ يقول: على الزنا. فإنّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: غفور لهنّ, للمكرهات على الزنا.

19754- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ يُكْرِهْهُنّ فإنّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنّ غَفُورٌ قال: غفور رحيم لهنّ حين أكرهن وقُسِرْن على ذلك.

19755- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قال: كانوا يأمرون ولائدهم يُباغِين, يفعلن ذلك, فيصبن, فيأتينهم بكسبهنّ, فكانت لعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ جارية, فكانت تُباغِي, فكرهت وحلفت أن لا تفعله, فأكرهها أهلها, فانطلقت فباغت ببرد أخضر, فأتتهم به, فأنزل الله تبارك وتعالى: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلى البِغاءِ... الآية.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مّبَيّنَاتٍ وَمَثَلاً مّنَ الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لّلْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دِلالات وعلامات مبيّنات يقول: مفصّلاتٍ الحقّ من الباطل, وموضّحات ذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين: «مُبَيّناتٍ» بفتح الياء: بمعنى مفصّلات, وأن الله فصّلهن وبيّنهنّ لعباده, فهنّ مفصّلات مبيّنات. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: مُبَيّناتٍ بكسر الياء, بمعنى أن الآيات هن تبين الحقّ والصواب للناس وتهديهم إلى الحقّ.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان, وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, متقاربتا المعنى. وذلك أن الله إذ فصّلها وبيّنها صارت مبيّنة بنفسها الحقّ لمن التمسه من قِبَلها, وإذا بيّنت ذلك لمن التمسه من قِبَلها فيبين الله ذلك فيها. فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب.

وقوله: وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ من الأمم, وموعظة لمن اتقى الله, فخاف عقابه وخشي عذابه.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {اللهُ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزّجَاجَةُ كَأَنّهَا كَوْكَبٌ دُرّيّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاّ شَرْقِيّةٍ وَلاَ غَرْبِيّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نّورٌ عَلَىَ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأمْثَالَ لِلنّاسِ وَاللهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ هادي من في السموات والأرض, فهم بنوره إلى الحقّ يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19756- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض.

19757- حدثني سليمان بن عمر بن خَلْدة الرّقي, قال: حدثنا وهب بن راشد, عن فرقد, عن أنس بن مالك, قال: إن إلهي يقول: نوري هُداي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبّر السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19758- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد وابن عباس في قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يدبّر الأمر فيهما: نجومَهما وشمسَهما وقمرَهما.

وقال آخرون: بل عنى بذلك النور الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19759- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع ابن أَنَس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, في قول الله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: فبدأ بنور نفسه, فذكره, ثم ذكر نور المؤمن.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه عَقِيب قوله: وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيّناتٍ, وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتّقِينَ فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه, أولى وأشبه, ما لم يأت ما يدلّ على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أَيّها الناس آيات مبينات الحق من الباطل وَمَثَلاً مِنَ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتّقِينَ فهديناكم بها, وبيّنا لكم معالم دينكم بها, لأني هادي أهل السموات وأهل الأرض. وترك وصل الكلام باللام, وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء, وفيه المعنى الذي ذكَرْتُ, استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره. ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها إليهم, فقال: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ يقول: مثل ما أنار من الحقّ بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالهاء في قوله: مَثَلُ نُورِهِ علام هي عائدة؟ ومن ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر المؤمن. وقالوا: معنى الكلام: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن مثل مشكاة. ذكر من قال ذلك:

19760- حدثنا عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, في قول الله: مَثَلُ نُورِهِ قال: ذكر نور المؤمن فقال: مثل نوره, يقول: مثل نور المؤمن. قال: وكان أبيّ يقرؤها كذلك: «مَثَلُ المؤمن». قال: هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ قال: بدأ بنور نفسه فذكره, ثم قال: مَثَلُ نُورِهِ يقول: مثل نور مَنْ آمن به. قال: وكذلك كان يقرأ أُبيّ, قال: هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره.

19761- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير: مَثَلُ نُورِهِ قال: مثل نور المؤمن.

19762- حدثني عليّ بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن اليمان, عن أبي سِنان, عن ثابت, عن الضحاك في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: نور المؤمن.

وقال آخرون: بل عُنِي بالنور: محمد صلى الله عليه وسلم, وقالوا: الهاء التي قوله: مَثَلَ نُورِهِ عائدة على اسم الله. ذكر من قال ذلك:

19763- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ, عن حفص, عن شَمِر, قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار, فقال له: حدثني عن قول الله عزّ وجلّ: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ... الآية؟ فقال كعب: الله نور السموات والأرض, مَثَل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم, كمشكاة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19764- حدثني عليّ بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن اليمان, عن أشعث, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبير في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: هَدْي اللهِ وبيانه, وهو القرآن. قالوا: والهاء من ذكر الله, قالوا: ومعنى الكلام: الله هادي أهل السموات والأرض بآياته المبينات, وهي وهي النور الذي استنار به السموات والأرض, مَثَلُ هداه وآياته التي هَدَى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمِشكاة. ذكر من قال ذلك:

19765- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: مَثَلُ نُورِهِ مثل هُدَاه في قلب المؤمن.

19766- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَيّة, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قال: مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة.

19767- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مَثَلُ نُورِهِ: نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده, هذا مثل القرآن كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ.

19768- قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عَيّاش, قال: قال زيد بن أسلم, في قول الله تبارك وتعالى: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ونوره الذي ذكر: القرآن, ومَثَلُه الذي ضَرَب له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مثل نور الله. وقالوا: يعني بالنور: الطاعة. ذكر من قال ذلك:

19769- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني بي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مصْباحٌ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد: كيف يخلُص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَلَ ذلك لنوره, فقال: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسمّى طاعته نورا, ثم سماها أنوارا شَتّى.

وقوله: كمِشْكاةٍ اختلف أهل التأويل في معنى المِشكاة والمصباح وما المراد بذلك, وبالزجاجة, فقال بعضهم: المِشكاة كل كَوّة لا منفذَ لها, وقالوا: هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19770- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شَمِر, قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار, فقال له: حدثني عن قول الله: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: المشكاة وهي الكَوّة, ضربها الله مثلاً لمحمد صلى الله عليه وسلم, المِشكاة فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ قلبه فِي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ صدره الزجاجة كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ شبه صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدريّ, ثم رجع المصباح إلى قلبه فقال: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ لم تمسّها شمس المشرق ولا شمس المغرب, يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ يكاد محمد يبين للناس وإن لم يتكلم أنه نبيّ, كما يكاد ذلك الزيت يضيء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ.

19771- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كمِشْكاةٍ يقول: موضع الفتيلة.

19772- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ... إلى كمِشْكاةٍ قال: المِشكاة: كَوّة البيت.

وقال آخرون: عنى بالمشكاة: صدر المؤمن, وبالمصباح: القرآن والإيمان, وبالزجاجة: قلبه. ذكر من قال ذلك:

19773- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ قال: مَثَل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة, قال: المشكاة: صدره. فِيها مِصْباحٌ قال: والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. المِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ قال: والزجاجة: قلبه. الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ توقَدُ, قال: فمثله مما استنار فيه القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والإيمان كأنه كوكب درّيّ, يقول: مُضِيء. تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ والشجرة المباركة, أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته, لا شريك له. لا شَرْقَيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: فمثله مَثَل شجرة التفّ بها الشجر, فهي خضراء ناعمة, لا تصيبها الشمس على أيّ حال كانت, لا إذا طلعت ولا إذا غَربت, وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغَير وقد ابتُلِي بها فثبته الله فيها, فهو بين أربع خلال: إن أُعطِى شكر, وإن ابتُلِي صبر, وإن حَكَم عدل, وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي في قبور الأموات. قال: نُورٌ عَلى نُورٍ فهو يتقلّب في خمسة من النور: فكلامه نور, وعمله نور, ومَدْخله نور, ومَخْرجه نور, ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة.

19774- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني يحيى بن اليمان, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, قال: المشكاة: صدر المؤمن. فيها مصباح, قال: القرآن.

قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, نحو حديث عبد الأعلى, عن عبيد الله.

19775- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ قال: مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار, فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء, كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيَه العلم, فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور, كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة: قالَ هَذَا رَبّي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربّا, فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هُدًى على هدى.

19776- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس,قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَل ذلك لنوره, فقال: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ والمِشكاة: كَوّة البيت فيها مصباح, المِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ والمصباج: السراج يكون في الزجاجة, وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى.

قوله: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: هي شجرة لا يفيء عليها ظلّ شرق ولا ظلّ غرب, ضاحية, ذلك أصفى للزيت. يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ. قال معمر, وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا, ليست شرقية ولا غربية.

وقال آخرون: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده, والمشكاة مثل لجوفه. ذكر من قال ذلك:

19777- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد وابن عباس جميعا: المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه, المصباح مثل الفؤاد, والكوّة مثل الجوف.

قال ابن جُرَيج: كمِشْكاةٍ: كوّة غير نافذة. قال ابن جُرَيج, وقال ابن عباس: قوله: نُورٌ عَلى نُورٍ يعني: إيمان المؤمن وعمله.

وقال آخرون: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن. ذكر من قال ذلك:

19778- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِه كمِشْكاةٍ قال: ككوّة فِيها مِصْباحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجاجَةٍ الزّجاجَةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ.

19779- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: اللهُ نُورُ السّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده, فهذا مثل القرآن كمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ فِي زُجاجَة فقرأ حتى بلغ: مُبارَكَةٍ فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به, وهو كما هو لا ينقص, فهذا مثل ضربه الله لنوره. وفي قوله:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ قال: الضوء: إشراق ذلك الزيت, والمشكاة: التي فيها الفتيلة التي في المصباح, والقناديل تلك المصابيح.

19780- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن عياض في قوله: كمِشْكاةٍ قال: الكوّة.

19781- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن عطية, في قوله: كمِشْكاةٍ قال: قال ابن عمر: المشكاة الكَوّة.

وقال آخرون: المِشكاة القنديل. ذكر من قال ذلك:

19782- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كمِشْكاةٍ قال: القنديل, ثم العمود الذي فيه القنديل.

19783- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كمِشْكاةٍ: الصّفْر الذي في جوف القنديل.

19784- حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله عن داود, عن رجل, عن مجاهد, قال: المِشكاة: القنديل.

وقال آخرون: المشكاة: الحديد الذي يعلق به القنديل. ذكر من قال ذلك:

19785- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن المفضل, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن مجاهد, قال: المشكاة: الحدائد التي يعلق بها القنديل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به, فقال: مَثَلُ نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد, الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدّقوا بما فيه, في قلوب المؤمنين, مثل مِشكاة, وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكَوّة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها. وإنما جعل ذلك العمود مِشكاة, لأنه غير نافذ, وهو أجوف مفتوح الأعلى, فهو كالكَوّة التي في الحائط التي لا تنفذ. ثم قال: فِيها مِصْباحٌ وهو السراج, وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات. ثم قال: المِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ يعني أن السراج الذي في المِشكاة في القنديل, وهو الزجاجة, وذلك مثل للقرآن, يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره. ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشكّ فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها, بالكوكب الدرّيّ, فقال: الزّجَاجَةُ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنّها كَوْكَبٌ دُرّيّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: دُرّيّ فقرأته عامة قرّاء الحجاز: دُرّيّ بضم الدال, وترك الهمز. وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: «دِرّيءٌ» بكسر الدال وهمزة. وقرأ بعض قرّاء الكوفة: «دُرّيء» بضم الدال وهمزة. وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة, وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم, من أن الزجاجة في صفائها وحسنها كالدرّ, وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها. ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزه, إلى أنه فِعّيل من دُرِّىءَ الكوكبُ: أي دُفِع ورجم به الشيطان, من قوله: وَيَدْرَأُعَنْها العَذابَ: أي يدفع, والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الداراريّ بغير همز. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: هي الدراريء بالهمز, من يَدْرأن. وأما الذين قرءوه بضمّ داله وهمزه, فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سُبّوح وقدوس من درأت, ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه, فصرفوا بعضها إلى الكسرة, فقالوا: دِرّىء, كما قيل: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكَبرِ عِتِيّا وهو فُعُول, من عتوت عُتُوّا, ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر, فقيل: عِتيّا. فهو مذهب, وإلا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها, وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فِعّيل. وقد كان بعض أهل العربية يقول: هو لحن.

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: دُرّىّ بضمّ داله وترك همزه, على النسبة إلى الدرّ, لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا. وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل, ففي ذلك مُكْتفًى عن الاستشهاد على صحتها بغيره. فتأويل الكلام: الزجاجة: وهي صدر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المؤمن, كأنها: يعني كأن الزجاجة, وذلك مثل لصدر المؤمن, كَوْكَب: يقول: في صفائها وضيائها وحسنها. وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ في أسباب الإيمان بالله وبعده من دنس المعاصي, كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: «تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ» فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريين: «تَوَقّدَ مِنْ شَجَرَةٍ» بالتاء, وفتحها, وتشديد القاف, وفتح الدال. وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوَقّدَ المصباحُ من شجرة مباركة. وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيين: يُوقَدُ بالياء, وتخفيف القاف, ورفع الدال بمعنى: يُوقِدُ المصباح مُوْقِدُه من شجرة, ثم لم يُسَمّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «تُوقَدُ» بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال, بمعنى: يُوقِدُ الزجاجةُ مُوقِدُها من شجرة مباركة لما لم يسمّ فاعله, فقيل تُوقَد. وقرأه بعض أهل مكة: «تَوَقّدُ» بفتح التاء, وتشديد القاف, وضم الدال بمعنى: تَتَوَقّد الزجاجة من شجرة, ثم أسقطت إحدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة.

وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظ بها وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفت بالتوقد أو بأنها تَوَقّد, فملعوم معنى ذلك, فإن المراد به تَوَقّدَ فيها المصباح أو يُوقَد فيها المصباح, ولكن وجّهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه. فإذا كان ذلك كذلك فبأيّ القراءات قرأ القارىء فمصيب, غير أن أعجب القراءات إليّ أن أقرأ بها في ذلك: «تَوَقّدَ» بفتح التاء, وتشديد القاف, وفتح الدال, بمعنى: وصف المصباح بالتوقد لأن التوقد والاتقاد لا شكّ أنهما من صفته, دون الزجاجة. فمعنى الكلام إذن: كمشكاة فيها مصباح, المصباح من دهن شجرة مباركة, زيتونة, لا شرقية ولا غربية.

وقد ذكرنا بعض ما رُوي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى, ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل. فقال بعضهم: إنما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية: أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت, وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق, ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب. ولا هي غربية وحدها, فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب, ولا تصيبها بالغَدَاة ولكنها شرقية غربية, تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها, فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ. قالوا: وإذا كانت كذلك, كان أجود لزيتها. ذكر من قال ذلك:

19786- حدثنا هَنّاد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سِماك, عن عكرمة, في قوله: زَيْتُونَةٍ, لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: لا يسترها من الشمس جبل ولا واد, إذا طلعت وإذا غربت.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حِرميّ بن عُمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عُمارة, عن عكرِمة, في قوله: لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء, تطلع عليها وتغرب عليها.

19787- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال مجاهد وابن عباس: لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قالا: هي التي بشِقّ الجبل, التي يصيبها شروق الشمس وغروبها, إذا طلعت أصابتها وإذا غربت أصابتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليست شرقية ولا غربية. ذكر من قال ذلك:

19788- حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: ثني محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: هي شجرة وَسْط الشجر, ليست من الشرق ولا من الغرب.

19789- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ متيامنة الشأم, لا شرقيّ ولا غربيّ.

وقال آخرون: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا. ذكر من قال ذلك:

19790- حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قول الله: لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية, ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان, يعني بان الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قول الله: زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: لو كانت في الأرض هذه الزيتونة كان شرقية أو غربية, ولكن والله ما هي في الأرض, وإنما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عوف, عن الحسن, في قوله: لا شَرْقِيّةٍ وَلا غَرْبِيّةٍ قال: هذا مَثَل ضربه الله, ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غربية وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة, ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب, فهي شرقية غربية.

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام, لأن الله إنما وصف الزيت الذي يُوقَد على هذا المصباح بالصفاء والجودة, فإذا كان شجره شرقيّا غربيّا كان زيته لا شكّ أجود وأصفى وأضوأ.

وقوله: يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه. وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نار يقول: فكيف إذا مسته النار.

وإنما أُريد بقوله: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَة مُبارَكَةٍ أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه, فجعل مَثَله ومَثَل كونه من عنده مثلَ المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة التي وصفها جلّ ثناؤه في هذه الآية. وعُنِي بقوله: يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ: أن حُجَج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها وَلَها. وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ يقول: ولو لم يَزِدها الله بيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن إليهم, منبها لهم على توحيده, فكيف إذا نبههم به وذكّرهم بآياته فزادهم به حجة إلى حُجَجه عليهم قبل ذلك؟ فذلك بيان من الله ونور على البيان, والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.

وقوله: نُورٌ عَلى نُورٍ يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار. كما:

19791- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: نُورٌ عَلى نُورٍ قال: النار على الزيت.

قال أبو جعفر: وهو عندي كما ذكرت مَثَلُ القرآن. ويعني بقوله: نُورٌ عَلى نُورٍ هذا القرآن نور من عند الله, أنزله إلى خلقه يستضيئون به. على نور على الحُجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه, مما يدلّ على حقيقة وحدانيته. فذلك بيان من الله, ونور على البيان, والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله. وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك, ما:

19792- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم, في قوله: نُورٌ عَلى نُورٍ يضيء بعضه بعضا, يعني القرآن.

وقوله: يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ: يقول تعالى ذكره: يُوَفّق الله لاتباع نوره, وهو هذا القرآن, من يشاء من عباده. وقوله: يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ: يقول تعالى ذكره: يُوَفّق الله لاتباع نوره, وهو هذا القرآن, من يشاء من عباده. وقوله: وَيَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ للنّاسِ يقول: ويُمثّل الله الأمثال والأشباه للناس كما مثّل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وسائر ما في هذه الآية من الأمثال. وَاللهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله بضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها, ذو علم.

الآية : 36-38

القول في تأويل قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوّ وَالاَصَالِ * رِجَالٌ لاّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصّلاَةِ وَإِيتَآءِ الزّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُمْ مّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ الله نور السموات والأرض, مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح, في بيوت أذن الله أن ترفع. كما:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19793- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: المِشكاة: التي فيها الفتيلة التي فيها المصباح. قال: المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع.

قال أبو جعفر: قد يحتمل أن تكون «من» في صلة «توقد», فيكون المعنى: تُوقَد من شجرة مباركة ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع. وعنى بالبيوت: المساجد.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

19794- حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ, قالا: حدثنا حَكّام, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قول الله: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: المساجد.

19795- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وهي المساجد تُكْرَم, ونهي عن اللغو فيها.

19796- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ يعني: كل مسجد يصلّى فيه, جامع أو غيره.

19797- حدثني محمد بن عمرو, قالي: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: مساجد تُبْني.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

19798- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: في المساجد.

19799- قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: المساجد: بيوت الله, وإنه حقّ على الله أن يُكْرِم من زاره فيها.

19800- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سالم بن عمر, في قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: هي المساجد.

19801- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِن الله أنْ تُرْفَعَ قال: المساجد.

وقال آخرون: عَنَى بذلك البيوتَ كلّها. ذكر من قال ذلك:

19802- حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ, قالا: حدثنا حَكّام بن سلم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عكرمة: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: هي البيوت كلها.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك, لدلالة قوله: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ على أنها بيوت بنيت للصلاة فلذلك قلنا هي المساجد.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ فقال بعضهم: معناه: أذن الله أن تُبْنَي. ذكر من قال ذلك:

19803- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عصام, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ قال: تُبْنَى.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معناه: أذن الله أن تعظّم. ذكر من قال ذلك:

19804- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ يقول: أن تعظّم لذكره.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد, وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء, كما قال جلّ ثناؤه: وَإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ يقول: وأَذِن لعباده أن يذكروا اسمه فيها. وقد قيل: عُنِي به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها. ذكر من قال ذلك:

19805- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: ثم قال: وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ يقول: يُتْلَى فيها كتابه.

وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك, لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله. غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه, فلذلك اخترنا القول به.

وقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: يُسَبّحُ لَهُ, فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: يُسَبّحُ لَهُ بضم الياء وكسر الباء, بمعنى: يصلّي له فيها رجال, وبجعل «يسبّح» فعلاً ل«الرجال» وخبرا عنهم, وترفع به «الرجال». سوى عاصم وابن عامر, فإنهما قرءا ذلك: «يُسَبّحُ له» بضمّ الياء وفتح الباء, على ما لم يسمّ فاعله, ثم يرفعان «الرجال» بخبر ثان مضمر, كأنهما أرادا: يسبّح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع, فسبّح له رجال فرفعا «الرجال» بفعل مضمر.

والقراءة التي هي أولاهما بالصواب: قراءة من كسر الباء, وجعله خبرا ل«الرجال» وفعلاً لهم. وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتمّ إلا بقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِيها, فأما والخبر عنها دون ذلك تام, فلا وجه لتوجيه قوله: يُسَبّحُ لَهُ إلى غيره, أيْ غير الخبر عن الرجال. وعُنِي بقوله: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ يصلّي له في هذه البيوت بالغُدُوات والعَشيات رجال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19806- حدثني عليّ بن الحسن الأزديّ, قال: حدثنا المَعافى بن عمران, عن سفيان, عن عَمّار الدّهني, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة.

19807- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: ثم قال: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ يقول: يصلى له فيها بالغداة والعشيّ. يعني بالغدوّ: صلاة الغَداة, ويعني بالآصال: صلاة العصر. وهما أوّل ما افترض الله من الصلاة, فأحبّ أن يذكرهما ويذكر بهما عبادته.

19808- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ أذِن الله أن تُبْنى, فيصلّى فيها بالغدوّ والآصال.

19809- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ يعني الصلاة المفروضة.

وقوله: رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ يقول تعالى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذي يصلّون في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة, تجارة ولا بيع. كما:

19810- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سعيد بن أبي الحسن, عن رجل نسي اسمه في هذه الآية: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيها اسمُهُ يُسَبّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ... إلى قوله: والأبْصَارِ قال: هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم, لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله.

19811- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا جعفر بن سليمان, عن عمرو بن دينار, عن سالم بن عبد الله: أنه نظر إلى قوم من السّوق قاموا وتركوا بباعاتهم إلى الصلاة, فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه: لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ... الآية.

19812- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, عن سيار, عمن حدثه, عن ابن مسعود, نحو ذلك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هُشَيم, عن سيار, قال: حُدثت عن ابن مسعود, أنه رأى قوما من أهل السوق حيثُ نودي بالصلاة تركوا بِياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة, فقال عبد الله: هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه: لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال بعضهم: معنـي ذلك: لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عن صلاتهم الـمفروضة علـيهم. ذكر من قال ذلك:

19813- حدّثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم قال: رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِـجارَةٌ وَلا بَـيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ يقول: عن الصلاة الـمكتوبة.

وقوله: وَإقامِ الصّلاةِ يقول: ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها فـي أوقاتها.

وبنـحو قولنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19814- حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبـي الـحسن, عن رجل نسي عوف اسمه فـي: وَإقامِ الصّلاةِ قال: يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة.

فإن قال قائل: أو لـيس قوله: وَإقامِ الصّلاةِ مصدرا من قوله أقمت؟ قـيـل: بلـى. فإن قال: أو لـيس الـمصدر منه إقامة, كالـمصدر من آجرت إجارة؟ قـيـل: بلـى. فإن قال: وكيف قال: وَإقامِ الصّلاةِ, أو تـجيز أن نقول: أقمت إقاما؟ قـيـل: ولكنـي أجيز: أعجبنـي إقام الصلاة. فإن قـيـل: وما وجه جواز ذلك؟ قـيـل: إن الـحكم فـي أقمت إذا جعل منه مصدر أن يقال إقواما, كما يقال: أقعدت فلانا إقعادا وأعطيته إعطاء ولكن العرب لـما سكنت الواو من «أقمت» فسقطت لاجتـماعها وهي ساكنة والـميـم ووهي ساكنة, بنَوا الـمصدر علـى ذلك إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة, فسقطت الأولـى منهما, فأبدلوا منها هاء فـي آخر الـحرف, كالتكثير للـحرف, كما فعلوا ذلك فـي قولهم: وَعَدته عِدَة, ووزنته زِنة إذ ذهبت الواو من أوّله, كثّروه من آخره بـالهاء فلـما أضيفت الإقامة إلـى الصلاة, حذفوا الزيادة التـي كانوا زادوها للتكثير, وهي الهاء فـي آخرها لأن الـخافض وما خفض عندهم كالـحرف الواحد, فـاستغنَوا بـالـمضاف إلـيه من الـحرف الزائد. وقد قال بعضهم فـي نظير ذلك:

إنّ الـخَـلِـيطَ أجَدّوا البَـيْنَ فـانْـجَرَدواوأخْـلَفوكَ عِدَ الأمْرِ الّذِي وَعَدُوا

يريد: عدة الأمر. فأسقط الهاء من العدة لـما أضافها, فكذلك ذلك فـي إقام الصلاة.

وقوله: وَإيتاءِ الزّكاةِ قـيـل: معناه: وإخلاص الطاعة لله. ذكر من قال ذلك:

19815- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وأقِـيـمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ وكان يأمر أهله بـالصلاة والزكاة. وقوله: وأوْصَانِـي بـالصّلاةِ والزّكاةِ, وقوله: وَلَوْلا فَضْلُ اللهُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدا, وقوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا وَزَكاةً ونـحو هذا فـي القرآن, قال: يعنـي بـالزكاة: طاعة الله والإخرص.

وقوله: يخافُونَ يَوْما تَتَقَلّبُ فِـيهِ القُلُوبُ والأبْصَارُ يقول: يخافون يوما تتقلب فـيه القلوب من هوله, بـين طمع بـالنـجاة وحذر بـالهلاك. والأبصار: أيّ ناحية يؤخذ بهم: أذات الـيـمين أم ذات الشمال؟ ومن أين يُؤْتون كتبهم: أمن قِبَل الأيـمان أو من قبل الشمائل؟ وذلك يوم القـيامة.) كما:

19816- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال عبد الله بن عياش, قال زيد بن أسلـم, فـي قول الله: فِـي بُـيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ... إلـى قوله: تَتَقَلّبُ فِـيهِ القُلُوبُ والأبْصَارُ يوم القـيامة.

وقوله: لـيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ ما عَمِلُوا يقول: فعلوا ذلك, يعنـي أنهم لـم تلههم تـجارة ولا بـيع عن ذكر الله, وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة وأطاعوا ربهم, مخافة عذابه يوم القـيامة كي يثـيبهم الله يوم القـيامة بأحسن أعمالهم التـي عملوها فـي الدنـيا, ويزيدهم علـى ثوابه إياهم علـى أحسن أعمالهم التـي عملوها فـي الدنـيا, من فضله, فـيُفْضِل علـيهم عن عنده بـما أحبّ من كرامته لهم. وقوله: وَاللهُ يَـرْزُقُ مَـنْ يَشـاءُ بغيـرِ حِسـابٍ يقول تعالـى ذكره: يتفضل علـى من شاء وأراد من طَوْله وكرامته, مـما لـم يستـحقه بعمله ولـم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول: بغير مـحاسبة علـى ما بذل له وأعطاه.

الآية : 39

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمْآنُ مَآءً حَتّىَ إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا مَثَل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به, فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن وبمن جاء به, مَثَل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول: مثلُ سَراب, والسراب: ما لَصِق بالأرض, وذلك يكون نصف النهار وحين يشتدّ الحرّ. والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض, وذلك يكون أوّل النهار, يرفع كلّ شيء ضُحًى. وقوله: بقيعَةٍ وهي جمع قاع, كالجِيرة جمع جار, والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع, وفيه يكون السراب. وقوله: يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءٌ يقول: يظن العطشان من الناس السراب, ماء. حتى إذا جاءه والهاء من ذكر السّراب, والمعنى: حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يَجِدْهُ شَيْئا يقول: لم يجد السراب شيئا, فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غُرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه, كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرْويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله, لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله على كفر بالله, ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمِرصاد, فوفّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا فإن لم يكن السراب شيئا, فعلام أدخلت الهاء في قوله: حتى إذَا جاءَهُ؟ قيل: إنه شيء يُرَى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء, فإذا قرب منه المرء رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا, فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب, ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19817- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, قال: ثم ضرب مثلاً آخر, فقال: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يَحْسِب أن عند الله خيرا, فلا يجد, فيُدخله النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب بنحوه.

19818- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يقول: الأرض المستوية.

19819- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... إلى قوله: وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِساب قال: هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش فاشتدّ عطشه, فرأى سرابا فحسبه ماء, فطلبه وظنّ أنه قد قدر عليه, حتى أتاه, فلما أتاه لم يجده شيئا, وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك, يحسب أن عمله مُغْنٍ عنه أو نافعه شيئا, ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت, فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولم ينفعه إلا كما نفع العطشانَ المشتدّ إلى السّراب.

19820- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقاع من الأرض, والسراب: عَمَلُه. زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب عمل الكافر. إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا. إتيانه إياه: موته وفراقه الدنيا. وَوَجَد اللّهَ عند فراقه الدنيا, فَوَفّاهُ حِسَابَهُ.

19821- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقِيعة من الأرض. يَحْسَبُهُ الظّمانُ ماءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر, يقول: يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا, وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئا وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19822- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا... إلى قوله: وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ قال: هذا مَثَل ضربه الله للذين كفروا أعمْالُهُمْ كَسَراب بِقِيعَةٍ قد رأى السراب, ووثق بنفسه أنه ماء, فلما جاءه لم يجده شيئا. قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة, وأنهم سَيَرْجعون منها إلى خير, فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب فهذا مَثَلٌ ضربه الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لّجّيّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ }.

وهذا مَثَل آخر ضربه الله لأعمال الكفار, يقول تعالى ذكره: ومَثَل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عُمِلت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى, مَثَل ظلمات في بحر لُجّيّ. ونسب البحر إلى اللّجة, وصفا له بأنه عميق كثير الماء. ولُجُة البحر: معظمه. يَغْشاهُ مَوْج يقول: يغشى البحر موج, مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ: يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه, مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ: يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب. فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم, والبحر اللجيّ مثلاً لقلب الكافر, يقول: عَمِل بنية قلب قد غَمَره الجهل وتغشّته الضلال والحَيرة كما يغشى هذا البحر اللّجيّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب, فكذلك قلب هذا الكافر الذي مَثَل عمله مَثَل هذه الظلمات, يغشاه الجهل بالله, بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله, وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله, وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله, فتلك ظلمات بعضها فوق بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19823- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ... إلى قوله: مِنْ نُورٍ قال: يعني بالظلمات: الأعمال, وبالبحر اللّجيّ: قلب الإنسان. قال: يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب, قال: ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر.

وهو كقوله: خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ... الآية, وكقوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ... إلى قوله: أفَلا تَذَكّرُونَ.

19824- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لجّيّ عميق, وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة, قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض. ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب, ما:

19825- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب, في قوله: أوْ كُظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيَ يَغْشاهُ مَوْجٌ... الآية, قال: ضرب مثلاً آخر للكافر, فقال: أوْ كُظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ... الآية, قال: فهو يتقلب في خمس من الظّلَم: فكلامه ظلمة, وعمله ظلمة, ومَدخله ظلمة, ومَخرجه ظلمة, ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, بنحوه.

19826- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أو كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ... إلى قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ قال: شرّ بعضه فوق بعض.

وقوله: إذَا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات, لم يكد يراها. فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكد يراها, مع شدّة هذه الظلمة التي وصف, وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا, إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة, ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه, فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها, ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها, ويكون قوله: لَمْ يَكَدْ في دخوله في الكلام, نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام, كقوله: وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد, كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة, وقد رآه, ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها, قول أوضح من جهة التفسير, وهو أخفى معانيه. وإنما حسُنَ ذلك في هذا الموضع, أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لأن ذلك مَثَل لا خبر عن كائن كان. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورا يقول: من من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه, فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يقول: فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمْآنُ مَآءً حَتّىَ إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِندَهُ فَوَفّاهُ حِسَابَهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.

وهذا مَثَل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به, فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن وبمن جاء به, مَثَل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول: مثلُ سَراب, والسراب: ما لَصِق بالأرض, وذلك يكون نصف النهار وحين يشتدّ الحرّ. والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض, وذلك يكون أوّل النهار, يرفع كلّ شيء ضُحًى. وقوله: بقيَعَةٍ وهي جمع قاع, كالجِيرة جمع جار, والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع, وفيه يكون السراب. وقوله: يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءً يقول: يظن العطشان من الناس السراب, ماء. حتى إذا جاءه والهاء من ذكر السّراب, والمعنى: حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يَجِدْهُ شَيْئا يقول: لم يجد السراب شيئا, فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غُرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه, كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرْويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله, لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله على كفر بالله, ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمِرصاد, فوفّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا فإن لم يكن السراب شيئا, فعلام أدخلت الهاء في قوله: حتى إذَا جاءَهُ؟ قيل: إنه شيء يُرَى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء, فإذا قرب منه المرء رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا, فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب, ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19817- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, قال: ثم ضرب مثلاً آخر, فقال: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يَحْسِب أن عند الله خيرا, فلا يجد, فيُدخله النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب بنحوه.

19818- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يقول: الأرض المستوية.

19819- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... إلى قوله: وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِساب قال: هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش فاشتدّ عطشه, فرأى سرابا فحسبه ماء, فطلبه وظنّ أنه قد قدر عليه, حتى أتاه, فلما أتاه لم يجده شيئا, وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك, يحسب أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عمله مُغْنٍ عنه أو نافعه شيئا, ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت, فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولم ينفعه إلا كما نفع العطشانَ المشتدّ إلى السّراب.

19820- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقاع من الأرض, والسراب: عَمَلُه. زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب عمل الكافر. إِذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا. إتيانه إياه: موته وفراقه الدنيا. وَوَجَد اللّهَ عند فراقه الدنيا, فَوَفّاهُ حِسَابَهُ.

19821- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ قال: بقِيعة من الأرض. يَحْسَبُهُ الظّمآنُ ماءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر, يقول: يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا, وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئا وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ.

19822- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا... إلى قوله: وَوَجَدَ اللّهُ عِنْدَهُ قال: هذا مَثَل ضربه الله للذين كفروا أعمْالُهُمْ كَسَراب بِقِيعَةٍ قد رأى السراب, ووثق بنفسه أنه ماء, فلما جاءه لم يجده شيئا. قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة, وأنهم سَيَرْجعون منها إلى خير, فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب فهذا مَثَلٌ ضربه الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لّجّيّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ }.

وهذا مَثَل آخر ضربه الله لأعمال الكفار, يقول تعالى ذكره: ومَثَل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عُمِلت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى, مَثَل ظلمات في بحر لُجّيّ. ونسب البحر إلى اللّجة, وصفا له بأنه عميق كثير الماء. ولُجة البحر: معظمه. يَغْشاهُ مَوْج يقول: يغشى البحر موج, مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ: يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه, مِنْ فَوْقِهِ سحَابٌ: يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب. فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم, والبحر اللجيّ مثلاً لقلب الكافر, يقول: عَمِل بنية قلب قد غَمَره الجهل وتغشّته الضلال والحَيرة كما يغشى هذا البحر اللّجيّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب, فكذلك قلب هذا الكافر الذي مَثَل عمله مَثَل هذه الظلمات, يغشاه الجهل بالله, بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله, وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله, وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله, فتلك ظلمات بعضها فوق بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19823- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ... إلى قوله: مِنْ نُورٍ قال: يعني بالظلمات: الأعمال, وبالبحر اللّجيّ: قلب الإنسان. قال: يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب, قال: ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر.

وهو كقوله: خَتَمَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ... الآية, وكقوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ... إلى قوله: أفَلا تَذَكّرُونَ.

19824- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لجّيّ عميق, وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة, قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض. ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب, ما:

19825- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب, في قوله: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيَ يَغْشاهُ مَوْجٌ... الآية, قال: ضرب مثلاً آخر للكافر, فقال: أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ... الآية, قال:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهو يتقلب في خمس من الظّلَم: فكلامه ظلمة, وعمله ظلمة, ومَدخله ظلمة, ومَخرجه ظلمة, ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن أبي الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, بنحوه.

19826- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أو كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ... إلى قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ قال: شرّ بعضه فوق بعض.

وقوله: إذَا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات, لم يكد يراها.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكد يراها, مع شدّة هذه الظلمة التي وصف, وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا, إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة, ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه, فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها, ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها, ويكون قوله: لَمْ يَكَدْ في دخوله في الكلام, نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام, كقوله: وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد, كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة, وقد رآه, ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها, قول أوضح من جهة التفسير, وهو أخفى معانيه. وإنما حسُنَ ذلك في هذا الموضع, أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لأن ذلك مَثَل لا خبر عن كائن كان. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورا يقول: من من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه, فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يقول: فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

الآية : 41-42

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُسَبّحُ لَهُ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالطّيْرُ صَآفّاتٍ كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَللّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَإِلَىَ اللّهِ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والأرض من مَلَك وإنس وجنّ. والطّيْرُ صَآفّاتٍ في الهواء أيضا تسبح له. كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَه والتسبيح عندك صلاة, فيقال: قيل: إن الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق, ولذلك فصّل فيما بين ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19827- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُسَبّحُ لَهُ مَنْ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ والطّيْرُ صَافّات كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ قال: والصلاة للإنسان, والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق.

19828- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: قوله: أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ يُسَبّحُ لَهُ مَنْ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ والطّيْرُ صَافّاتٍ كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ قال: صلاته: للناس, وتسبيحه: عامة لكلّ شيء.

ويتوجه قوله: كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ لوجوه: أحدها: أن تكون الهاء التي في قوله: صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ من ذكر «كلّ», فيكون تأويل الكلام: كل مصلّ ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه, ويكون «الكلّ» حينئذٍ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله: كُلّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ, وهو الهاء التي في الصلاة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا لـ«الكلّ», ويكون «الكلّ» مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في: عَلِمَ, ويكون: عَلِمَ فعلاً لـ«الكلّ», فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: قد علم كلّ مصلّ ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كُلّفه وأُلْزمه.

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله, والعلم لـ«الكل», فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: قد علم كلّ مسبّح ومُصَلّ صلاة الله التي كلّفه إياها, وتسبيحه. وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الأوّل, وهو أن يكون المعنى: كلّ مصلّ منهم ومسبّح, قد علم الله صلاته وتسبيحه.

وقوله: وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بما يفعل كلّ مصلّ ومسبح منهم, لا يخفى عليه شيء من أفعالهم, طاعتها ومعصيتها, محيط بذلك كله, وهو مجازيهم على ذلك كله.

وقوله: وَلِلهِ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول جلّ ثناؤه: ولله سلطان السموات والأرض وملكها, دون كلّ من هو دونه من سلطان وملِك, فإياه فارهبوا أيها الناس, وإليه فارغبوا لا إلى غيره, فإن بيده خزائن السموات والأرض, لا يخشى بعطاياكم منها فقرا. وَإلى اللهِ المَصِيرُ: يقول: وأنتم إليه بعد وفاتكم, مصيركم ومَعادكم, فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا, فأحسنوا عبادته, واجتهدوا في طاعته, وقدّموا لأنفسكم الصالحاتِ من الأعمال.)

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصَارِ * يُقَلّبُ اللهُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ إنّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأوْلِي الأبْصَارِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أَلَمْ تَرَ يا محمد أنّ اللهَ يُزْجِي يعني يسوق سَحَابا حيث يريد. ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ: يقول: ثم يؤلف بين السحاب. وأضاف «بين» إلى السحاب, ولم يذكر معه غيره, و«بين» لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين, لأن السحاب في معنى جمع, واحده سحابة, كما يجمع النخلة: نَخْل, والتمرة: تمر, فهو نظير قول قائل: جلس فلان بين النخل. وتأليفُ الله السحاب: جمعه بين متفرّقها.

وقوله: ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكاما يقول: ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه إلى بعض رُكاما يعني: متراكما بعضه على بعض. وقد:

19829- حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا خالد, قال: حدثنا مطر, عن حبيب بن أبي ثابت, عن عُبيد بن عُمير الليثيّ, قال: الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقمّ الأرض قَمّا, ثم يبعث الثانية فتنشىء سحابا, ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله رُكاما, ثم يبعث الرابعة فتمطره.

وقوله: فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاِلِهِ يقول: فترى المطر يخرج من بين السحاب, وهو الوَدْق, قال الشاعر:

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهاوَلا أرْضَ أبْقَلَ إبْقَالَهَا

والهاء في قوله: مِنْ خِلاِلِهِ من ذكر السحاب, والخلال: جمع خَلَل. وذُكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرءون ذلك: «مِنْ خَلَلِهِ».

19830- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حِرْميّ بن عُمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا قَتادة, عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف: فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاِلِهِ: «مِنْ خَلَلِهِ».

19831- قال: حدثنا شُعبة, قال: أخبرني عُمارة, عن رجل, عن ابن عباس, أنه قر هذا الحرف: فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاِلِهِ: «من خَلَله».

حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: أخبرني عُمارة بن أبي حفصة, عن رجل, عن ابن عباس, أنه قرأها: «مِنْ خَلَلِهِ» بفتح الخاء, من غير ألف. قال هارون: فذكرت ذلك لأبي عمرو, فقال: إنها لحسنة, ولكن خِلاله أعمّ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما قرّاء الأمصار, فإنهم على القراءة الأخرى: مِنْ خِلاَلِهِ وهي التي نختار, لإجماع الحجة من القراء عليها.

19832- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ قال: الودّق: القطر, والخِلال: السحاب.

وقوله: وَيُنَزّلُ مِنَ السّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ: قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من بَرَد, مخلوقة هنالك خلقه. كأن الجبال على هذا القول, هي من بَرَد, كما يقال: جبال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قَدْر جبال وأمثال جبال من بَرَد إلى الأرض, كما يقال: عندي بَيْتان تبنا. والمعنى: قدر بيتين من التبن, والبيتان ليسا من التبن.

وقوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمّنْ يَشاءُ يقول: فيعذّب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد من يشاء فيهلكه, أو يهلك به زروعه وماله. وَيَصْرِفُهُ عَمّنْ يَشاءُ من خلقه, يعني عن زروعهم وأموالهم.

وقوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبْصَارِ يقول: يكاد شدّة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره. والسنا: مقصور, وهو ضوء البرق.) كما:

19833- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخُراسانيّ, عن ابن عباس, قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ قال: ضوء برقه.

19834- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يقول: لَمَعان البرق يذهب بالأبصار.

19835- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبْصَارِ قال: سناه: ضوء يذهب بالأبصار.

وقرأت قرّاء الأمصار: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بفتح الياء من «يَذْهب», سوى أبي جعفر القارىء فإنه قرأه بضم الياء: «يُذْهِبُ بالأبْصَارِ».

والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها, لإجماع الحجة من القرّاء عليها, وأن العرب إذا أدخلت الباء في مفعول «ذهبت», لم يقولوا: إلا ذهب به, دون أذهبت به. وإذا أدخلوا الألف في «أذهبت», لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله, فيقولون: أذهبته, وذهبت به.

وقوله: يُقَلّبُ اللّهُ اللّيْلَ والنّهارَ يقول: يُعْقِب الله بين الليل والنهار ويصرفهما, إذا أذهب هذا جاء هذا, وإذا أذهب هذا جاء هذا. إنّ فِي ذلكَ لَعِبْرَةً لأولي الأبْصَارِ يقول: إنّ في إنشاء الله السحاب وإنزاله منه الوَدْقَ ومن السماء البردَ وفي تقليبه الليل والنهار, لعبرةً لمن اعتبر به وعظةً لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لأن ذلك ينبىء ويدلّ على أنه له مدبّرا ومصرّفا ومقلّبا, لا يشبهه شيء.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ خَلَقَ كُلّ دَآبّةٍ مّن مّآءٍ فَمِنْهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ بَطْنِهِ وَمِنهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مّن يَمْشِي عَلَىَ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشَآءُ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَاللّهُ خَلَق كُلّ دابّةٍ مِنْ ماءٍ فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم: «وَاللّهُ خالِقُ كُلّ دَابّةٍ». وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم: وَاللّهُ خَلَقَ كُلّ دابّةٍ بنصب «كلّ», و«خَلَقَ» على مثال «فَعَل». وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك «خالق» تدلّ على أن معنى ذلك المضيّ, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقوله: خَلَقَ كُلّ دَابّةٍ مِنْ ماءٍ يعني: من نطفة. فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ كالحياة وما أشبهها. وقيل إنما قيل: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ والمشي لا يكون على البطن لأن المشي إنما يكون لما له قوائم, على التشبيه, وأنه لما خالط ما له قوائمُ ما لا قوائمَ له, جاز, كما قال: وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ كالطير, وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أرْبَعٍ كالبهائم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فإن قال قائل: فكيف قيل: فمنهم من يمشي, و«مَن» للناس, وكلّ هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم؟ قيل: لأنه تفريق ما هو داخل في قوله: وَاللهُ خَلَقَ كُلّ دَابّةٍ وكان داخلاً في ذلك الناس وغيرهم, ثم قال: فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم, فكنى عن جميعهم كنايته عن بني آدم, ثم فسرهم ب«مَن», إذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة. يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ يقول: يحدث الله ما يشاء من الخلق. إنّ اللهَ عَلى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: إن الله على إحداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الأشياء غيره, ذو قدرة لا يتعذّر عليه شيء أراد.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {لَّقَدْ أَنزَلْنَآ آيَاتٍ مّبَيّنَاتٍ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ}.

يقول تعالى ذكره: لقد أنزلنا أيّها الناس علامات واضحات, دالاّت على طريق الحقّ, وسبيل الرشاد. وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه, فيهديه إلى دين الإسلام, وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه.

الآية : 47-48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنّا بِاللهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمّ يَتَوَلّىَ فَرِيقٌ مّنْهُمْ مّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مّنْهُمْ مّعْرِضُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدّقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول. ثُمّ يَتَوَلّى فريق مِنْهُمْ يقول: ثم تُدْبِر كلّ طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمَها. وَما أُولَئِكَ بالمُؤْمِنِينَ يقول: وليس قائلو هذه المقالة, يعني قوله: آمَنّا باللهِ وَبالرّسُولِ وأطَعْنا بالمؤمنين, لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عنه إذا دُعُوا إليه. وقوله: وَإذَا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ يقول: وإذا دُعِي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فيما اختصموا فيه بحكم الله, إذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ عن قبول الحقّ والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 49-50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يَكُنْ لّهُمُ الْحَقّ يَأْتُوَاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوَاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَـئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحقّ لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم, فيأبَون ويُعْرِضون عن الإجابة إلى ذلك, قِبَلَ الذين يدعونهم إلى الله ورسوله, يأتوا إلى رسول الله مذعنين, يقول مُذْعِنِينَ منقادين لحكمه, مقرّين به طائعين غير مكرهين يقال منه: قد أذعن فلان بحقه: إذا أقرّ به طائعا غير مستكْرَه وانقاد له وسلّم. وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك, ما:

19836- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: يَأْتُوا إلَيهِ مُذْعِنِينَ قال: سِراعا.

وقوله: أفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يُعْرِضون إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم, شكّ في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به. أمْ يَخافُونَ أن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله. وقوله: أن يَحيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ والمعنى: أن يحيف رسولُ الله عليهم, فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله, كما يقال: ما شاء الله ثم شئت, بمعنى: ما شئت. ومما يدلّ على أن معنى ذلك كذلك قوله: وَإذَا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فأفرد الرسول بالحكم, ولم يقُل: ليحكما. وقوله: بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن حكم الله وحكم رسوله, إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك, مما دُعوا إليه, أن يحيف عليهم رسول الله, فيجورَ في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا, والتسليم له.)

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله, لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وبين خصومهم, أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا ما قيل لنا, وأطَعْنا من دعانا إلى ذلك. ولم يُعْنَ بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى, ولكنه تأنيب من الله الذي أُنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم. وقوله: وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ يقول تعالى ذكره: والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم, أن يقولوا: سمعنا وأطعنا. المفلحون: يقول: هم المنجِحون المدّركون طَلِباتهم, بفعلهم ذلك, المخلدون في جنات الله.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون }.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه, ويسلّمْ لحكمهما له وعليه, ويَخَفْ عاقبة معصية الله ويحذره, ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه فَأُولَئِكَ يقول: فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه.) القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنّ قُل لاّ تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مّعْرُوفَةٌ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المعرِضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إليه باللّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها: لَئِنْ أمَرْتَهُمْ يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوّك وعدوّ المؤمنين لَيَخْرُجُنّ قُلْ لا تُقْسِمُوا لا تحلفوا, فإن هذه طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ منكم, فيها التكذيب. كما:

19837- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ قال: قد عُرفت طاعتكم إليّ أنكم تكذبون. إنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله, أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم, لا يخفي عليه من ذلك شيء, وهو مجازيكم بكل ذلك.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون }.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه, ويسلّمْ لحكمهما له وعليه, ويَخَفْ عاقبة معصية الله ويحذره, ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه فَأُولَئِكَ يقول: فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه.) القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنّ قُل لاّ تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مّعْرُوفَةٌ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المعرِضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إليه باللّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها: لَئِنْ أمَرْتَهُمْ يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوّك وعدوّ المؤمنين لَيَخْرُجُنّ قُلْ لا تُقْسِمُوا لا تحلفوا, فإن هذه طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ منكم, فيها التكذيب. كما:

19837- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ قال: قد عُرفت طاعتكم إليّ أنكم تكذبون. إنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله, أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم, لا يخفي عليه من ذلك شيء, وهو مجازيكم بكل ذلك.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ فَإِن تَوَلّوْاْ فَإِنّمَا عَلَيْهِ مَا حُمّلَ وَعَلَيْكُمْ مّا حُمّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى الرّسُولِ إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: قُلْ يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليُخرجُنّ وغيرهم من أمتك: أطِيعُوا اللّهَ أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه. وأطِيعُوا الرّسُولَ فإن طاعته لله طاعة. فإن تَوَلّوْا يقول: فإن تُعْرِضوا وتُدْبِروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه, وتأبَوا أن تُذْعنوا لحكمه لكم وعليكم. فإنّمَا عَلَيْهِ ما حُمّلَ يقول: فإنما عليه فعل ما أُمِر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم, على ما كلّفه من التبليغ. وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتُمْ يقول: وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

وقلنا: إن قوله: فإنْ تَوَلّوْا بمعنى: فإن تتولوا, فإنه في موضع جزم لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم: أطِيعُوا اللّهَ وأطِيعُوا الرّسُولَ يدلّ على أن ذلك كذلك قوله: وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتمْ, ولو كان قوله: تَوَلّوْا فعلاً ماضيا على وجه الخبر عن غيب, لكان في موضع قوله: وَعَلَيْكُمْ ما حُمّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ ما حُمّلُوا.

وقوله: وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم, تَرْشُدوا وتصيبوا الحقّ في أموركم. وَما عَلى الرّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلّغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به, يقول: فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم وعليكم الطاعة وإن أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون, وإن عصيتموه بأنفُسكم فتوبقون.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَىَ لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُمْ مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَعَدَ اللّهُ الّذِين آمَنُوا بالله ورسوله مِنْكُمْ أيها الناس, وَعمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأرْضِ يقول: لَيُورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم, فيجعلهم ملوكها وساستها. كمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل, إذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها. وَلَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَى لَهُمْ يقول: وليوطئنّ لهم دينهم, يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها. وقيل: وعد الله الذين آمنوا, ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله: لَيَسْتَخْلفنّهُمْ لأن الوعد قول يصلح فيه «أن», وجواب اليمين كقوله: وعدتك أن أكرمك, ووعدتك لأكرمنك.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: كمَا اسْتَخْلَفَ فقرأته عامة القرّاء: كمَا اسْتَخْلَفَ بفتح التاء واللام, بمعنى: كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم. وقرأ ذلك عاصم: «كمَا اسْتُخْلِفَ» بضم التاء وكسر اللام, على مذهب ما لم يُسَمّ فاعله.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: وَلَيُبَدّلَنّهُمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم: وَلَيُبْدّلَنّهُمْ بتشديد الدال, بمعنى: وليغيّرَنّ حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن, والعرب تقول: قد بُدّل فلان: إذا غيرت حاله ولم يأت مكان غيره, وكذلك كلّ مغير عن حاله فهو عندهم مبدّل بالتشديد. وربما قيل بالتخفيف, وليس بالفصيح. فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره, فذلك بالتخفيف: أبْدلته فهو مُبْدَل. وذلك كقولهم: أُبدل هذا الثوب: أي جُعِل مكانه آخر غيره, وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت. وكان عاصم يقرؤه: «وَلَيُبْدِلَنّهُمْ» بتخفيف الدال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والصواب من القراءة في ذلك: التشديد, على المعنى الذي وصفت قبلُ, لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه, وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى الأمن. وأرى عاصما ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجّه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الأمن, فخفّف ذلك.

ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر, قول أبي النجم:

عَزْلُ الأمِيرِ للأَمَيرِ المُبْدَلِ

وقوله: يَعْبُدُونَنِي يقول: يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي. لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئا يقول: لا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها, بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إليّ دون كلّ ما عُبد من شيء غيري. وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدوّ في خوف شديد مما هُمْ فيه من الرّعب والخوف وما يَلْقَون بسبب ذلك من الأذى والمكروه.

ذكر الرواية بذلك:

19838- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قوله: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحات... الآية, قال: مكث النبيّ صلى الله عليه وسلم عَشْر سنين خائفا يدعو إلى الله سرّا وعلانية, قال: ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون, يُصبحون في السلاح ويُمسون فيه, فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَغْبُرُونَ إلاّ يَسِيرا حتى يَجْلِسَ الرّجُلُ مِنْكُمْ فِي المَلإ العَظيمِ مُحْتَبِيا فِيهِ لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ». فأنزل الله هذه الآية: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ... إلى قوله: فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ» قال: يقول: من كفر بهذه النعمة فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسقُونَ وليس يعني الكفر بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب, فآمنوا, ثم تجَبّروا, فغَيّر الله ما بهم. وكفروا بهذه النعمة, فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم قال القاسم: قال أبو عليّ: بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله: فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله. ورُوى عن حُذيفة في ذلك ما:

19839- حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي الشعثاء, قال: كنت جالسا مع حُذيفة وعبد الله بن مسعود, فقال حُذيفة: ذهب النفاق, وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنما هو الكفر بعد الإيمان قال: فضحك عبد الله, فقال: لم تقول ذلك؟ قال: علمت ذلك, قال: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأرْضِ... حتى بلغ آخرها.

19840- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: حدثنا شعبة, عن أبي الشّعْثاء, قال: قعدت إلى ابن مسعود وحُذيفة, فقال حذيفة: ذهب النّفاق فلا نفاق, وإنما هو الكفر بعد الإيمان فقال عبد الله: تعلم ما تقول؟ قال: فتلا هذه الآية: إنّمَا كانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ... حتى بلغ: فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسقُونَ قال: فضحك عبد الله. قال: فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أيّ شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أيّ شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا أدري, إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يُعْجبه وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه, فمن أيّ شيء ضحك؟ لا أدري.

والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية, وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك: فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ.

19841- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قول الله: يَعْبُدونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئا قال: تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

19842- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد: أمنا يَعْبُدونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئا قال: لا يخافون غيري.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 56-57

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَآتُواْ الزّكَاةَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ * لاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: وأقيمُوا أيها الناس الصّلاةَ بحدودها فلا تضيعوها. وآتُوا الزّكاةَ التي فرضها الله عليكم أهلها, وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم. لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه, وقوله: لا تَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأرْضِ يقول تعالى ذكره: لا تحسبنّ يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم. ومأْوَاهُم بعد هلاكهم النّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ الذي يصيرون إليه ذلك المأوى. وقد كان بعضهم يقول: «لا يحسبنّ الذين كفروا» بالياء. وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن «تحسب» محتاج إلى منصوبين. وإذا قرىء «يَحْسَبَنّ» لم يكن واقعا إلاّ على منصوب واحد, غير أني أحسب أن قائله بالياء ظنّ أنه قد عمل في «معجزين», وأن منصوبه الثاني في «الأرض», وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرّاتٍ مّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مّنَ الظّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَآءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنّ طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ فقال بعضهم: عُني بذلك الرجال دون النساء, ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة هؤلاء الذين سُمّوا في هذه الآية إلاّ بإذن. ذكر من قال ذلك:

19843- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عَنبسة, عن ليث, عن نافع, عن ابن عمر, قوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: هي على الذكور دون الإناث.

وقال آخرون: بل عُنِي به الرجال والنساء. ذكر من قال ذلك:

19844- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن أبي عبد الرحمن, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: هي في الرجال والنساء, يستأذنون على كلّ حال, بالليل والنهار.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به الذكور والإناث لأن الله عمّ بقوله: الّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ جميع أملاك أيماننا, ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل.

فتأويل الكلام: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدُكم وإماؤكم, فلا يدخلوا عليكم إلاّ بإذن منكم لهم.

وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ يقول: والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرّات, يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم. كما:

19845- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: عبيدكم المملوكون. وَالّذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ منْكُمْ قال: لم يحتلموا من أحراركم.

قال ابن جُرَيج: قال لي عطاء بن أبي رباح: فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن, كما قال: ثَلاَثَ مرّاتٍ منْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ قالوا: هي العَتَمة. قلت: فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا؟ قال نعم. قلت لعطاء: هل استئذانهم إلاّ عند وضع الناس ثيابهم؟ قال: لا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19846- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن صالح بن كيسان ويعقوب بت عُتبة وإسماعيل بن محمد, قالوا: لا استئذان على خدم الرجل عليه إلاّ في العورات الثلاث.

19847- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء, فلا يدخل عليه خادم ولا صبيّ إلاّ بإذن حتى يصلّي الغداة, فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك.

19848- حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني قرة بن عبد الرحمن, عن ابن شهاب, عن ثعلبة, عن أبي مالك القرظي: أنه سأل عبد الله بن سُوَيد الحارثيّ, وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن الإذن في العورات الثلاث, فقال: إذا وضعت ثيابي من الظهيرة, لم يلج عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار, إلاّ بإذن.

19849- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جَحَدَهنّ الناس: الإذن كله, وقال: إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ وقال الناس: أكرمكم أعظمكم بيتا, ونسيت الثالثة.

19850- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في هذه الآية: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ قال: كان الحسن يقول: إذا أبات الرجل خادمه معه فهو إذنه, وإن لم يبته معه استأذن في هذه الساعات.

19851- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, قال: ثني موسى بن أبي عائشة, عن الشعبيّ في قوله: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قال: لم تُنسخ. قلت: إن الناس لا يعملون به قال: الله المستعان.

قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, عن الشعبيّ, وسألته عن هذه الآية: لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ قلت: منسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت, قلت: إن الناس لا يعملون بها قال: الله المستعان.

19852- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عَوانة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير, قال: إن ناسا يقولون نسخت, ولكنها مما يتهاون الناس به.

19853- قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ... إلى آخر الآية, قال: لا يعمل بها اليوم.

19854- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا حنظلة, أنه سمع القاسم بن محمد يُسْأَل عن الإذن, فقال: يستأذن عند كلّ عورة, ثم هو طوّاف يعني الرجل على أمه.

19855- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: أخبرنا عبد العزيز بن أبي رَوّاد, قال: أخبرني رجل من أهل الطائف, عن غَيلان بن شُرَحبيل, عن عبد الرحمن بن عوف, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَغْلِبَنّكُمُ الأعْرَابُ عَلى اسْمِ صَلاتِكُمْ, قالَ اللهُ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ وإنّمَا العَتَمَةُ عَتَمَةُ الإبِلِ».

وقوله: ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ برفع «الثلاث», بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت. كأنه عندهم قيل: هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلاّ بإذن, ثلاثُ عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلُون بأهليكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «ثَلاثَ عَوْرَاتٍ» بنصب «الثلاث» على الردّ على «الثلاث» الأولى. وكأن معنى الكلام عندهم: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثَ مرّات, ثلاثُ عورات لكم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى, وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ وَلا عَلَـيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنّ, طَوّافُونَ عَلَـيْكُمْ يقول تعالـى ذكره: لـيس علـيكم معشر أربـاب البـيوت والـمساكن, ولا عَلَـيْهِمْ يعنـي: ولا علـى الذين ملكت أيـمانكم من الرجال والنساء والذين لـم يبلغوا الـحلـم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهنّ, يعنـي بعد العورات الثلاث. والهاء والنون فـي قوله: بَعْدَهُنّ عائدتان علـى «الثلاث» من قوله: ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ. وإنـما يعنـي بذلك أنه لا حرج ولا جُناح علـى الناس أن يدخـل علـيهم مـمالـيكهم البـالغون وصبـيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث اللاتـي ذكرهنّ فـي قوله: مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِـيابَكُمْ مِنَ الظّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ.)

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19856- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: ثم رخص لهم فـي الدخول فـيما بـين ذلك بغير إذن, يعنـي فـيما بـين صلاة الغداة إلـى الظهر, وبعد الظهر إلـى صلاة العشاء أنه رخص لـخادم الرجل والصبـيّ أن يدخـل علـيه منزله بغير إذن. قال: وهو قوله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ وَلا عَلَـيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنّ فأما من بلغ الـحلُـم فإنه لا يدخـل علـى الرجل وأهله إلاّ بإذن علـى كل حال.

وقولـه: طَوّافُونَ عَلَـيْكُمْ رفـع «الطوّافون» بـمضمر, وذلـك «هـم». يقول لهـؤلاء الـممالـيك والصبـيان الصغار هم طوّافون علـيكم أيها الناس, ويعنـي بـالطوّافين: أنهم يدخـلون ويخرجـون علـى موالـيهم وأقربـائهم فـي منـازلهم غدوة وعشية بغير إذن, يطوفون علـيهم بعضكم علـى بعض فـي غير الأوقات الثلاث التـي أمرهم أن لا يدخـلوا علـى ساداتهم وأقربـائهم فـيها إلاّ بإذن. كَذلكَ يُبَـيّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ يقول جلّ ثناؤه: كما بـينت لكم أيها النـاس أحكام الاستئذان فـي هذه الآية, كذلك يبـين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه. وَاللهُ عَلِـيمٌ حَكِـيمٌ يقول: والله ذو علـم بـما يصلـح عبـاده, حكيـم فـي تدبـيره إياهم وغير ذلك من أموره.

الآية : 59

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا اسْتَأْذَنَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربـائكم ويعنـي بقوله: مِنْكُمْ من أحراركم الـحُلُـمَ يعنـي الاحتلام واحتلـموا. فَلْـيَسْتأْذِنُوا يقول: فلا يدخـلوا علـيكم فـي وقت من الأوقات إلاّ بإذن, لا فـي أوقات العَورات الثلاث ولا فـي غيرها. وقوله: كمَا اسْتَأذَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما استأذن الكبـار من ولد الرجل وأقربـائه الأحرار. وخصّ الله تعالـى ذكره فـي هذه الآية الأطفـال بـالذكر وتعريف حكمهم عبـاده فـي الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيـماننا, وقد تقدّمت الآية التـي قبلها بتعريفهم حكم الأطفـال الأحرار والـممالـيك لأن حكم ما ملكت أيـماننا من ذلك حكم واحد, سواء فـيه حكم كبـارهم وصغارهم فـي أن الإذن علـيهم فـي الساعات الثلاث التـي ذكرها الله فـي الآية التـي قبل.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

19857- حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: أما من بلغ الـحُلُـم, فإنه لا يدخـل علـى الرجل وأهله يعنـي من الصبـيان الأحرار إلا بإذن علـى كل حال وهو قوله: وَإذَا بَلَغَ الأطْفـالُ مِنْكُمُ الـحُلُـمَ فَلْـيَسْتأْذِنُوا كمَا اسْتأذَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

19858- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عطاء: وَإذَا بَلَغَ الأطْفـالُ مِنْكُمُ الـحُلُـمَ فَلْـيَستأْذِنُوا قال: واجب علـى الناس أن يستأذنوا إذا احتلـموا, علـى مَنْ كان مِنَ الناس.

19859- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي يونس, عن ابن شـهاب, عن ابن الـمسيب, قال: يستأذن الرجل علـى أمه. قال: إنـما نزلت: وَإذَا بَلَغَ الأطْفـالُ مِنْكُمُ الـحُلُـمَ فـي ذلك. كَذلكَ يُبَـيّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ يقول: هكذا يبـين الله لكم آياتـه, أحكامـه وشرائع دينـه, كما بـين لكم أمر هؤلاء الأطفـال فـي الاستئذان بعد البلوغ. وَاللهُ عَلِـيـمٌ حَكِـيمٌ يقول: والله علـيـم بـما يصلـح خـلقه وغير ذلك من الأشياء, حكيـم فـي تدبـيره خـلقه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَآءِ اللَّاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنّ غَيْرَ مُتَبَرّجَاتِ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لّهُنّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء, فلا يحضن ولا يلدن واحدتهنّ قاعد. اللاّتي لا يَرْجُونَ نِكاحا يقول: اللاتي قد يئسن من البعولة, فلا يطمعن في الأزواج. فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ يقول: فليس عليهنّ حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهنّ, يعني جلابيبهنّ, وهي القناع الذي يكون فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب, لا حرج عليهنّ أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرّجات بزينة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19860- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: والقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ اللاّتي لا يَرْجُونَ نِكاحاوهي المرأة, لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدِرع وخِمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرّج لما يكره الله, وهو قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غَيْرَ مُتَبَرّجاتٍ بِزِينَةٍ ثم قال: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ.

19861- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ يعني: الجلباب, وهو القِناع وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد, فلا يضرّها أن لا تجلبب فوق الخمار. وأما كلّ امرأة مسلمة حرّة, فعليها إذا بلغت المحيض أن تدنَى الجلباب على الخمار. وقال الله في سورة الأحزاب: يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرّت بهم امرأة سيئة الهيئة والزيّ, حَسِب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم, فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث, ولا يعلمون الحرّة من الأمة فأنزل الله في ذلك: يا أيّها النّبِيّ قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ يقول: إذا كان زِيهنّ حسنا لم يطمع فيهنّ المنافقون.

19862- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, في قوله: وَالقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ التي قعدت من الوَلد وكِبرت. قال ابن جُرَيج: قال مجاهد: اللاتي لا يَرْجُونَ نِكاحا قال: لا يردنه. فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: جلابيبهنّ.

19863- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: والقَوَاعِدُ مِنَ النّساءِ اللاّتي لا يَرْجُونَ نِكاحا فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غيرَ مُتَبَرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: وضع الخمار, قال: التي لا ترجو نكاحا, التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فإذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرّجات بزينة. ثم قال: وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ كان أبي يقول هذا كله.

19864- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن علقمة بن مَرْثَد, عن ذرّ, عن أبي وائل, عن عبد الله, في قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: الجلباب أو الرداء. شكّ سفيان.

19865- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن عبد الله: لَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: الرداء.

19866- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, قال: قال عبد الله في هذه الآية: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: هي المِلْحَفة.

19867- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبد الله يقول في هذه الآية: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: الجلباب.

حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, قال: أخبرني الحَكَم, عن أبي وائل, عن عبد الله, مثله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثّوري, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن ابن مسعود, في قوله: أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: هو الرداء.

19868- قال الحسن, قال: عبد الرزاق, قال الثوريّ: وأخبرني أبو حصين وسالم الأفطس, عن سعيد بن جُبير, قال: هو الرداء.

19869- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبيّ: أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوّج. قال الشعبيّ: فإن أُبيّ بن كعب يقرأ: «أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيابِهِنّ».

19870- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: قلت لابن أبي نجيح, قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ قال: الجلباب. قال يعقوب, قال أبو يونس: قلت له: عن مجاهد؟ قال: نعم, في الدار والحجرة.

19871- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنّ قال: جلابيبهنّ.

وقوله: غيرَ مُتَبرّجاتٍ بِزِينَةٍ يقول: ليس عليهنّ جناح في وضع أرديتهنّ إذا لم يُرِدن بوضع ذلك عنهنّ أن يبدين ما عليهنّ من الزينة للرجال. والتبرّج: هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره.

وقوله: وأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ يقول: وإن تعففن عن وضع جلابيبهنّ وأرديتهنّ, فيلبسنها, خير لهنّ من أن يضعنها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19872- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ قال: أن يلبسن جلابيبنّ.

19873- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغِيرة, عن الشعبيّ: وأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيرٌ لَهُنّ قال: ترك ذلك, يعني ترك وضع الثياب.

19874- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ والاستعفاف: لبس الخِمار على رأسها, كان أبي يقول هذا كله.

وَاللهُ سَمِيعٌ ما تنطقون بألسنتكم. عَلِيمٌ بما تضمره صدوركم, فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها, أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم, فتستوجبوا بذلك منه عقوبة.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {لَّيْسَ عَلَى الأعْمَىَ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلّمُواْ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ تَحِيّةً مّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيّبَةً كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه, فقال بعضهم: أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العُمْيان والعُرْجان والمرضى وأهل الزّمانة من طعامهم, من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم, خشية أن يكونوا قد أتَوْا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِجارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنكمْ. ذكر من قال ذلك:

19875- حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ... إلى قوله: أوْ أشْتاتا وذلك لَمّا أنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل,

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والطعام من أفضل الأموال, فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد. فكفّ الناس عن ذلك, فأنزل الله بعد ذلك: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ... إلـى قوله: أوْ ما مَلَكْتُـمْ مَفـاتِـحَهُ.

19876- حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ... الآية, كان أهل الـمدينة قبل أن يُبعث النبـيّ صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم فـي طعامهم أعمى ولا مريض, فقال بعضهم: إنـما كان بهم التقذّر والتقزّز. وقال بعضهم: الـمريض لا يستوفـي الطعام كما يستوفـي الصحيح, والأعرج الـمنـحبس لا يستطيع الـمزاحمة علـى الطعام, والأعمى لا يبصر طيب الطعام. فأنزل الله: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ حَرَجٌ فـي مؤالكة الـمريض والأعمى والأعرج.

فمعنى الكلام علـى تأويـل هؤلاء: لـيس علـيكم أيها الناس فـي الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه, ولا فـي الأعرج حرج, ولا فـي الـمريض حرج, ولا فـي أنفسكم, أن تأكلوا من بـيوتكم. فوجّهوا معنى «علـى» فـي هذا الـموضع إلـى معنى «فـي».

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانة فـي الأكل من بـيوت من سمى الله فـي هذه الآية لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لـم يكن عندهم فـي بـيوتهم ما يطعمونهم, ذهبوا بهم إلـى بـيوت آبـائهم وأمهاتهم أو بعض من سمّى الله فـي هذه الآية, فكان أهل الزمانة يتـخوّفون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير ملكه. ذكر من قال ذلك:

19874حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لا جُناحَ عَلَـيْكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ أوْ بُـيُوتِ آبـائِكُمْ قال: كان رجال زَمْنَى قال ابن عمرو فـي حديثه: عُمْيان وعُرْجان. وقال الـحارث: عُمْيٌ عُرْج أولوا حاجة, يستتبعهم رجال إلـى بـيوتهم, فإن لـم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلـى بوت آبـائهم ومن عدد منهم من البـيوت, فكره ذلك الـمستتبعون, فأنزل الله فـي ذلك: لَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُناحٌ, وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه.

19877- حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: كان الرجل يذهب بـالأعمى والـمريض والأعرج إلـى بـيت أبـيه, أو إلـى بـيت أخيه, أو عمه, أو خاله, أو خالته, فكان الزّمنـي يتـحرّجون من ذلك, يقولون: إنـما يذهبون بنا إلـى بـيوت غيرهم, فنزلت هذه الآية رُخْصة لهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, نـحو حديث ابن عمرو, عن أبـي عاصم.

وقال آخرون: بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله فـي هذه الآية أن يأكلوا من بـيوت من خَـلّفهم فـي بـيوته من الغزاة. ذكر من قال ذلك:

19878- حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, قال: قلت للزهريّ, فـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ ما بـال الأعمى ذكر ها هنا والأعرج والـمريض؟ فقال: أخبرنـي عُبـيد الله بن عبد الله أن الـمسلـمين كانوا إذا غَزَوا خَـلّفوا زَمْناهم, وكانوا يدفعون إلـيهم مفـاتـيح أبوابهم, يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مـما فـي بـيوتنا وكانوا يتـحرّجون من ذلك, يقولون: لا ندخـلها وهي غُيّب. فأنزلت هذه الآية رخصة لهم.

وقال آخرون: بل عُنـي بقوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلـى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلـى الـمَرِيضِ حَرَجٌ فـي التـخلف عن الـجهاد فـي سبـيل الله. قالوا: وقوله: وَلا عَلـى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ كلام منقطع عما قبله. ذكر من قال ذلك:

19879- حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: لَـيْسَ عَلـى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلـى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلـى الـمَرِيضِ حَرَجٌ قال: هذا فـي الـجهاد فـي سبل الله. وفـي قوله: وَلا عَلـى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُـيُوتِكُمْ... إلـى قوله: أوْ صَدِيقِكُمْ قال: هذا شيء قد انقطع, إنـما كان هذا فـي الأوّل, لـم يكن لهم أبواب وكانت الستور مُرْخاة, فربـما دخـل الرجل البـيت ولـيس فـيه أحد, فربـما وجد الطعام وهو جائع, فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك الـيوم البـيوت الـيوم فـيما أهلها, وإذا أخرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك. ذكر من قال ذلك:

19880- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن مِقْسم, في قوله: لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج, فنزلت: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.

واختلفوا أيضا في معنى قوله: أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ فقال بعضهم: عُني بذلك وكيلُ الرجل وَقيّمُه, أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته, ونحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

19881- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته, فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشربَ اللبن.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل. ذكر من قال ذلك:

19882- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ يعني: بيت أحدهم, فإنه يملكه, والعبيد منهم مما ملكوا.

19883- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ مما تحبون يا ابن آدم.

19884- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ قال: خزائن لأنفسهم, ليست لغيرهم.

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله: لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ... إلى قوله: أوْ صَدِيقِكُمْ القول الذي ذكرنا عن الزهريّ عن عبيد الله بن عبد الله, وذلك أن أظهر معاني قوله: لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ: أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُمّوا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها, على ما أباح لهم من الأكل منها. فإذ كان ذلك أظهر معانيه, فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذ كان ذلك كذلك, كان ما خالف من التأويل قول من قال: معناه: ليس في الأعمى والأعرج حرج, أولى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله: وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس. ثم جمع هؤلاء والزّمْنَى الذين ذكرهم قبل في الخطاب, فقال: أن تأكلوا من بيوت أنفسكم. وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب, غلّبت المخاطب فقالت: أنت وأخوك قمتما, وأنت وزيد جلستما, ولا تقول: أنت وأخوك جلسا, وكذلك قوله: وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض, غلّب المخاطب, فقال: أن تأكلوا, ولم يقل: أن يأكلوا.

فإن قال قائل: فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالاً إذ كان ملكا لهم, أَوَ كانَ أيضا حلالاً لهم الأكل من مال غيرهم؟ قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما توهمّتَ ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله, أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم, دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم, فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام, فكان المتخلفون يتخوّفون الأكل من ذلك وربه غائب, فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه وأذِن لهم في أكله. فإذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك: لقيل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم, أو من طعام آباء من دعاكم, ولم يقل: أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم. وكذلك لا وجه لقول من قال: معنى ذلك: ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله, لأن قوله: أنْ تأْكُلوا خبر «ليس», و«أنْ» في موضع نصب على أنها خبر لها, فهي متعلقة ب«ليس», فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته, ولا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد. فإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا, تبين أن معنى الكلام: لا ضِيقَ على الأعمى, ولا على الأعرج, ولا على المريض, ولا عليكم أيها الناس, أن تأكلوا من بيوت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت إخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مَفاتحها أو من بيوت صديقكم, إذا أذنوا لكم في ذلك, عند مغيبهم ومشهدهم. والمفاتح: الخزائن, واحدها: «مَفْتح» إذا أريد به المصدر, وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها, فهي مِفْتح ومفاتح وهي ها هنا على التأويل الذي اخترناه جمع مِفْتح الذي يفتح به. وكان قَتادة يتأوّل في قوله: أوْ صَدِيقِكُمْ, ما:

19885- حدثنا به الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر, عن قَتادة: أوْ صَدِيقِكُمْ فلو أكلْت من بيت صديقك من غير أمره, لم يكن بذلك بأس. قال معمر: قلت لقتادة: أَوَلاَ أشربُ من هذا الحُبّ؟ قال: أنت لي صديق.

وأما قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: كان الغنيّ من الناس يتخوّف أن يأكل مع الفقير, فرخّصَ لهم في الأكل معهم. ذكر من قال ذلك:

19886- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس, قوله: أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا قال: كان الغنيّ يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه, فيدعُوَه إلى طعامه ليأكل معه, فيقول: والله إني لأجنح أن آكل معك والجنح: الحرج وأنا غنيّ وأنت فقير فأُمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا.

وقال آخرون: بل عُني بذلك حيّ من أحياء العرب, كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل إلا مع غيره, فأذِن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره. ذكر من قال ذلك:

19887- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره, فرخص الله لهم, فقال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.

19888- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده, حتى نزلت هذه الآية.

19889- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: كانوا لا يأكلون إلا جميعا, ولا يأكلون متفرّقين, وكان ذلك فيهم دينا فأنزل الله: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى, وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا.

19890- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا قال: كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل إلا جميعا, فقال الله ذلك.

19891- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, حدثنا نزلت: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا في حيّ من في العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده, كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كِنانة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم, فرخّصَ لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا. ذكر من قال ذلك:

19892- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن عمران بن سليمان, عن أبي صالح وعكرمة, قالا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم, فرُخّص لهم, قال الله: لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتاتا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحَرَج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا, أو أشتاتا متفرّقين إذا أرادوا. وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوّف من الأغنياء الأكل مع الفقير, وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يَطْعَمون وُحْدانا, وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر, ولا دلالة في ظاهر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التنزيل على حقيقة شيء منه. والصواب التسليم لما دلّ عليه ظاهر التنزيل, والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل.

وقوله: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّموا عَلى أنْفُسِكُمْ تَحِيّةً مِنْ عِنْدَ اللهِ اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم: معناه: فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم, فسلموا على أهليكم وعيالكم. ذكر من قال ذلك:

19893- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ وقتادة في قوله: فسَلّموا عَلى أنْفُسِكُمْ قالا: بيتك, إذا دخلته فقل: سلام عليكم.

19894- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسكُمْ قال: سَلّمْ على أهلك قال ابن جُرَيج: وسُئل عن عطاء بن أبي رباح: أحقّ على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم؟ قال: نعم. وقالها عمرو بن دينار. وتَلَوا: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفِسكُمْ تَحِيّةً مِنْ عِنْد اللهِ مُبارَكَةً طَيّبَةً قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرّة.

19895- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني أبو الزّبير, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تَحيّةً مِنْ عِنْدَ اللهِ مُبارَكَةً طَيّبَةً. قال: ما رأيته إلا يوجبه. قال ابن جُرَيج, وأخبرني زياد, عن ابن طاوس أنه كان يقول: إذا دخل أحدكم بيته فليسلم.

19896- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قلت لعطاء: إذا خرجت أواجب السلام؟ هل أسلم عليهم؟ فإنما قال: إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا؟ قال: ما أعلمه واجبا ولا آثِرُ عن أحد وجوبه, ولكن أحبّ إليّ, وما أدعه إلا ناسيا. قال ابن جُرَيج, وقال عمرو بن دينار: لا, قال: قلت لعطاء: فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلّمْ قل: السلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته, السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين, السلام على أهل البيت ورحمة الله. قلت له: قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عمن تَأْثِره؟ قال: سمعته ولم يؤثر لي عن أحد. قال ابن جُرَيج, وأخبرني عَطَاءٌ الخُراسانيّ, عن ابن عباس, قال: السلام علينا من ربنا, وقال عمرو بن دينار: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19897- حدثنا أحمد بن عبد الرحيم, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: حدثنا صدقة, عن زُهَير, عن ابن جُرَيج, عن أبي الزبير, عن جابر بن عبد الله, قال: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم, تحية من عند الله مباركة طيبة. قال: ما رأيته إلاّ يوجبه.

حدثنا محمد بن عباد الرازي, قال: حدثنا حجاج بن محمد الأعور, قال: قال لي ابن جُرَيج, أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: فذكر مثله.

19898- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ يقول: سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم, وعلى غير أهاليكم, فسلموا إذا دخلتم بيوتهم.

وقال آخرون: بل معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلّموا على أهلها. ذكر من قال ذلك:

19899- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, عن معمر, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس: إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ قال: هي المساجد, يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19900- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, في قوله: فَإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم, فليسلم بعضكم على بعض. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19901- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ أي ليسلم بعضكم على بعض, كقوله: وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ.

19902- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ قال: إذا دخل المسلّم سُلّم عليه, كمثل قوله: لا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ إنما هو: لا تقتل أخاك المسلم. وقوله: ثُمّ أنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أنْفُسَكُمْ قال: يقتل بعضكم بعضا, قُريظة والنّضِير.

وقال آخرون: معناه: فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد, فسلموا على أنفسكم. ذكر من قال ذلك:

19903- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, قال: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين, فقل مثل ذلك.

19904- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي سِنان, عن ماهان, قال: إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم, قال: تقولوا: السلام علينا من ربنا.

19905- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: أخبرنا شعبة عن منصور, قال شعبة: وسألته عن هذه الآية: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ تَحِيّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ قال: قال إبراهيم: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19906- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشجّ, عن نافع: أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد, قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19907- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, قال: حدثنا منصور, عن إبراهيم: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ قال: إذا دخلت بيتا فيه يهود فقل: السلام عليكم وإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين, فليسلم بعضكم على بعض.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله جلّ ثناؤه قال: فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا ولم يخصُصْ من ذلك بيتا دون بيت, وقال: فَسَلّمُوا عَلى أنْفُسِكُمْ يعني: بعضكم على بعض. فكان معلوما إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض, أنه معنيّ به جميعها, مساجدها وغير مساجدها.

ومعنى قوله: فَسَلّموا عَلى أنْفُسِكُمْ نظير قوله: وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ. وقوله: تَحِيّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ ونصب تحية, بمعنى: تُحيّون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية, فكأنه قال: فليحيّ بعضكم بعضا تحية من عند الله. وقد كان بعض أهل العربية يقول: إنما نصبت بمعنى: أَمَرَكم بها تفعلونها تَحيّة منه, ووصف جلّ ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم.

وقوله: كَذلكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ يقول تعالى ذكره: هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم, كما فصل لكم في هذه الآية ما أحلّ لكم فيها, وعرّفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه. لَعَلّكُم تَعْقِلُونَ يقول: لكي تفقَهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىَ أَمْرٍ جَامِعٍ لّمْ يَذْهَبُواْ حَتّىَ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنّ الّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَـَئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ}

يقول تعالى ذكره: ما المؤمنون حقّ الإيمان, إلا الذين صدّقوا الله ورسوله. وَإذَا كانُوا مَعَهُ يقول: وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, عَلى أمرٍ جامِعٍ يقول: على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت, أو صلاة اجتمع لها, أو تشاور في أمر نزل لَمْ يَذْهَبُوا يقول: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر, حَتّى يَسْتَأْذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19908- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِين آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتأْذِنُوهُ يقول: إذا كان أمر طاعة لله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ قال: أمر من طاعة الله عامّ.

19909- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن بكر, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: سأل مكحولاً الشاميّ إنسانٌ وأنا أسمع, ومكحول جالس مع عطاء, عن قول الله في هذه الآية: وَإذا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتّى يَسْتأْذِنُوهُ فقال مكحول: في يوم الجمعة, وفي زَحْف, وفي كلّ أمر جامع, قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الإمام, وكذلك في كل جامع, ألا ترى أنه يقول: وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ.

19910- حدثني يعقوب, قال: ثني ابن عُلَية, قال: أخبرنا هشام بن حسان, عن الحسن, قال: كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب, قام فأمسك بأنفه, فأشار إليه الإمام أن يخرُج. قال: فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله, فقام إلى هَرِم بن حِيان وهو يخطب, فأخذ بأنفه, فأشار إليه هرم أن يذهب. فخرج إلى أهله فأقام فيهم, ثم قدم قال له هرم: أين كنت؟ قال: في أهلي؟ قال: أبإذن ذهبت؟ قال: نعم, قمت إليك وأنت تخطب, فأخذت بأنفي, فأشرت إليّ أن اذْهَب فذهبت. فقال: أفاتخذت هذا دَغَلاً؟ أو كلمة نحوها. ثم قال: اللهمّ أخّر رجال السوء إلى زمان السوء.

19911- حدثني الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, في قوله: وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ قال: هو الجمعة إذا كانوا معه, لم يذهبوا حتى يستأذنوه.

19912- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَإذَا كانُوا مَعَهُ عَلى أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتَأْذِنُوهُ قال: الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة. قال: والجمعة من الأمر الجامع, لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه, ولا يخرج إلا بإذن. وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل إليه, فالله أولى بالعذر.

وقوله: إنّ الّذِينَ يَسْتأْذِنُوكَ أُولَئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ يقول تعالى ذكره: إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع, عنك إلا بإذنك لهم, طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقّا, لا من خالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير إذن منك له بعد تقدّمك إليه أن لا ينصرف عنك إلاّ بإذنك. وقوله: فإذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره: فإذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأْذن لمن شِئت منهم في الانصراف عنك لقضائها. وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ يقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم. إنّ اللهَ غَفُورٌ لذنوب عباده التائبين, رَحِيمٌ بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.)

الآية :63

القول في تأويل قوله تعالى: {لاّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تَجْعَلُوا أيها المؤمنون دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: نَهَى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرّضوا لدعاء الرسول عليهم, وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم, بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا, فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس, فإن دعاءه موجبة. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19913- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا دعوة الرسول عليكم موجبة, فاحذروها.

وقال آخرون: بل ذلك نهيٌ من الله أن يَدْعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلَظ وجفَاء, وأمر لهم أن يَدْعوه بلين وتواضع. ذكر من قال ذلك:

19914- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نَجيح, عن مجاهد: كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يَدْعوا يا رسول الله, في لين وتواضع, ولا يقولوا يا محمد, في تجهّم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يَدْعوه: يا رسول الله, في لين وتواضع.

19915- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمر, عن قَتادة, في قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاء بَعْضِكُمْ بَعْضا قال: أمرهم أن يفخّموه ويشرّفوه.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس, وذلك أن الذي قَبْل قوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا نهيٌ من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه, والذي بعده وعيد للمُنْصرفين بغير إذنه عنه, فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سُخْطة أن يضطّره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

وقوله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه, تسترا وخِفية منه, وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله يعلم ذلك ولا يخَفى عليه, فليتّق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه, أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم, فيطبع على قلوبهم, فيكفروا بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19916- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, عن جُويبر, عن الضحاك, في قول الله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: كانوا يستتر بعضهم ببعض, فيقومون, فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة, قال: يطَبع على قلبه, فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتُضرب عُنُقه.

19917- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: خلافا.

19918- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذا قال: هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: اللّواذ: يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير إذن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ الذين يصنعون هذا, أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم. الفتنة ها هنا. الكفر, واللّواذ: مصدر لاوذت بفلان مُلاوذة ولِواذا, ولذلك ظهرت الواو, ولو كان مصدرا للُذت لقيل: لِياذا, كما يقال: قُمت قياما, وإذا قيل: قاومتك, قيل: قواما طويلاً. واللّواذ: هو أن يلوذ القوم بعضُهم ببعض, يستتر هذا بهذا وهذا بهذا, كما قال الضحاك.

وقوله: أوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع, على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ وأدخلت «عن» لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويُدبِرون عنه معرضين.)

الآية : 64

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلاَ إِنّ للهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ وَاللهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: ألاَ إنّ لله مُلْكُ جميع السّمَوَاتِ والأَرْضِ يقول: فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيَه, فيستوجب بذلك عقوبته. يقول: فكذلك أنتم أيها الناس, لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم, فأطيعوه وأتَمروا لأمره ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه.

وقوله: قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك, كما:

19919- حدثني أيضا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ صنيعكم هذا أيضا.

وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْهِ يقول: ويوم يَرْجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره. فيُنَبّئُهُم يقول: فيخبرهم حينئذٍ, بِمَا عَمِلُوا في الدنيا, ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها, من خلافهم على ربهم. وَاللهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم وغيرك ذلك من الأمور, لا يخفى عليه شيء, بل هو محيط بذلك كله, وهو مُوَفّ كلّ عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه.

سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية

وآياتها سبع وسبعون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {تَبَارَكَ الّذِي نَزّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }.

قال أبو جعفر: تبارك: تَفاعَلَ من البركة, كما:

19920- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, قال: حدثنا أبو رَوق, عن الضحاك, عن عبد الله بن عباس, قال: تبارك: تَفَاعَلَ من البركة.

وهو كقول القائل: تقدّس ربنا, فقوله: تَبارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ يقول: تبارك الذي نزّل الفصل بين الحقّ والباطل, فصلاً بعد فصل وسورة بعد سُورة, على عبده محمد صلى الله عليه وسلم, ليكون محمد لجميع الجنّ والإنس الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه, نذيرا: يعني منذِرا يُنذرهم عِقابه ويخوّفهم عذابه, إن لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19921- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: تَبارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيرا قال: النبيّ النذير. وقرأ: وَإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ وقرأ: وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ لَهَا مُنْذِرُونَ قال: رسل. قال: المنذرون: الرسل. قال: وكان نذيرا واحدا بلّغ ما بين المشرق والمغرب, ذو القرنين, ثم بلغ السدّين, وكان نذيرا, ولم أسمع أحدا يُحِقّ أنه كان نبيّا. وأُوحِيَ إليّ هذَا القُرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: من بلغه القرآن من الخلق, فرسول الله نذيره. وقرأ: يا أيّها النّاسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ جَمِيعا وقال: لم يرسل الله رسولاً إلى الناس عامة إلاّ نوحا, بدأ به الخلق, فكان رسولَ أهل الأرض كلهم, ومحمد صلى الله عليه وسلم خَتَم به.

الآية : 2

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَمْ يَتّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ فَقَدّرَهُ تَقْدِيراً }.

يقول تعالى ذكره: تَبَارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ... الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ ف «الذي» من نعت «الذي» الأولى, وهما جميعا في موضع رفع, الأولى بقوله «تبارك», والثانية نعت لها. ويعني بقوله: الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ الذي له سلطان السموات والأرض يُنْفِذ في جميعها أمره وقضاءه, ويُمْضِي في كلها أحكامه. يقول: فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومَنْ في سلطانه ولا يعصُوه, يقول: فلا تعصُوا نذيري إليكم أيها الناس, واتبعوه, واعملوا بما جاءكم به من الحقّ. ولَمْ يَتّخِذْ وَلَدا يقول تكذيبا لمن أضاف إليه الولد وقال الملائكة بنات الله: ما اتخذ الذي نزّل الفرقان على عبده ولدا. فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه. ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلْكِ يقول تكذيبا لمن كان يضيف الأُلوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تلبيته «لَبّيك لا شريك لك, إلاّ شريكا هو لك, تملكه وما ملك»: كذب قائلوا هذا القول, ما كان لله شريك في مُلكه وسلطانه فيصلح أن يُعْبد من دونه يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزّل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الأُلوهة, وأخلِصوا له العبادة, دون كلّ ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجنّ والإنس, فإن كلّ ذلك خلقه وفي ملكه, فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جمعي ذلك. وقوله: وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء, فالأشياء كلها خلقه ومِلْكه, وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم, فأخلصوا لي العبادة دون غيري. وقوله: فَقَدّرَهُ تَقْدِيرا يقول: فسوّى كلّ ما خلق وهيأه لما يصلح له, فلا خَلَل فيه ولا تفاوت.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لاّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً }.

يقول تعالى ذكره: مُقَرّعا مشركي العرب بعبادتهما ما دونه من الآلهة, ومعجّبا أولي النّهَى منهم, ومُنَبّههُم على موضع خطأ فِعْلهم وذهابهم عن منهج الحقّ وركوبهم من سُبُل الضلالة ما لا يركبه إلاّ كل مدخول الرأي مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له مُلك السموات والأرض وحده, من غير شريك, الذي خلق كلّ شيء فقدّره, آلهةً يعني أصناما بأيديهم يعبدونها, لا تخلق شيئا وهي تُخْلق, ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها ولا ضرّا تدفعه عنها ممن أرادها بضرّ, ولا تملك إماتة حيّ ولا إحياء ميت ولا نشره من بعد مماته, وتركوا عبادة خالق كلّ شيء وخالق آلهتهم ومالك الضرّ والنفع والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِر الميت نشورا, وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـَذَا إِلاّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد إلاّ إِفْكٌ يعني: إلاّ كذب وبُهتان, افْتَرَاهُ اختلقه وتخرّصه بقوله, وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يُعَلّم محمدا هذا الذي يجيئنا به اليهود, فذلك قوله: وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ يقول: وأعان محمدا على هذا الإفك الذي افتراه يهود. ذكر من قال ذلك:

19922- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ قال: يهود.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله: فَقَدْ جاءُوا ظُلْما وَزُورا يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة, يعني الذين قالوا: إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَـيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ظلما, يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم. وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه فكأنّ ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفُهم إياه بغير صفته. والزور: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم إنْ هَذَا إلاّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَـيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ كذبا مَحْضا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19923- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وحدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَقَدْ جاءُوا ظُلْما وَزُورا قال: كذبا.

الآية : 5 - 6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوَاْ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِنّهُ كَانَ غَفُوراً رّحِيماً }.

ذكر أن هذه الآية نزلت في النّضْر بن الحارث, وأنه المعنيّ بقوله: وَقالُوا أساطيرُ الأوّلِينَ. ذكر من قال ذلك:

19924- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: حدثنا شيخ من أهل مصر, قدم منذ بضع وأربعين سنة, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: كان النّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ من شياطين قريش, وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة, وكان قد قَدِم الحِيرة, تعلّم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رُسْتَم وأسفنديار, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا فذكّر بالله وحدّث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله, خلَفه في مجلسه إذا قام, ثم يقول: أنا والله يا معشر قُريش أحسن حديثا منه, فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورسْتَم وأسفنديار, ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن, قوله: وَإذَا تُتْلَى عَلَـيْهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوّلِينَ وكلّ ما ذُكِر فيه الأساطير في القرآن.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, عن سعيد أو عكرمة, عن ابن عباس نحوه, إلاّ أنه جعل قوله: «فأنزل الله في النضْر ثماني آيات», عن ابن إسحاق, عن الكلْبيّ, عن أبي صالح, عن ابن عباس.

19925- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: أساطِيرُ الأوّلِينَ أشعارهم وكَهانتهم وقالها النضر بن الحارث.

فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن إن هذا إلاّ إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأوّلين, يَعنُون أحاديثهم التي كانوا يُسَطّرونها في كتبهم, اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود. فَهِيَ تُمْلَى عَلَـيْهِ يعنون بقوله: فَهِي تُمْلَى عَلَـيْهِ فهذه الأساطير تُقرأ عليه, من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأمْلَلْت. بُكْرَةً وأصِيلاً يقول: وتملَى عليه غُدْوة وعشيّا.

وقوله: قُلْ أنْزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأوّلين وأن محمد صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون, بل هو الحقّ, أنزله الربّ الذي يعلم سرّ من في السموات ومن في الأرض, ولا يخفى عليه شيء, ومُحْصِي ذلك على خلقه, ومُجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم وأضمروه في نفوسهم. إنّهُ كانَ غَفُورا رَحِيما يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم, فيتفضلُ عليهم بعفوه, يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه, يُمْهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك والفاعلون ما فعلتم من الكفر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19926- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: قُلْ أنْزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: ما يسر أهل الأرض وأهل المساء.

الآية : 7 - 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا لِهَـذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَىَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظّالِمُونَ إِن تَتّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مّسْحُوراً }.

ذُكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة, وعرضوا عليه أشياء, وسألوه الآيات.

فكان فيما كلّموه به حينئذٍ, فيما:

19927- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, مولى زيد بن ثابت, عن سعيد بن جُبير, أو عكرمة مولى ابن عباس, عن ابن عباس: أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم, وإحياء آبائهم, والمجيء بالله والملائكة قبيلاً, وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل فخذ لنفسك, سلْ ربك يبعثْ معك ملَكا يصدّقك بما تقول ويراجعنا عنك, وسَلْه فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة, تغنيك عما نراك تبتغي, فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه, حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بِفاعِلٍ» فأنزل الله في قولهم: أنْ خُذْ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها: أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا, أو يبعث معه ملَكا يصدّقه بما يقول ويردّ عنه من خاصمه. وقالُوا ما لِهَذَا الرّسُولِ يأْكُلُ الطّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا أوْ يُلْقَى إلَيْهِ كَنْزٌ أوْ تَكُونُ لَهُ جَنّةٌ يأْكُلُ مِنْها وَقالَ الظّالِمُونَ إنْ تَتّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُورا.

فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لِهَذا الرّسُولِ: يَعْنون محمدا صلى الله عليه وسلم, الذي يزعم أن الله بعثه إلينا, يَأكُلُ الطعَامَ كما نأكل, ويَمْشِي في أسواقنا كما نمشي.لَوْلاَ أنْزِلَ إلَيهِ يقول: هلا أنزل إليه ملَك إن كان صادقا من السماء, فَيَكُونَ مَعَه منذرا للناس, مصدّقا له على ما يقول, أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه إلى التصرّف في طلب المعاش, أوْ تكون له جنة يقول: أو يكون له بستان يَأكُلُ مِنْها.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: يَأْكُلُ بالياء, بمعنى: يأكل منها الرسول. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: «نَأْكُلُ مِنْها» بالنون, بمعنى: نأكل من الجنة.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم فإذ كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك, فغير جائز أن يقولوا له: سلْ لنفسك ذلك لنأكل نحن.

وبعدُ, فإن في قوله تعالى ذكره: تَبَارَكَ الّذِي إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلِكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ, دليلاً بيّنا على أنهم إنما قالوا له: اطلب ذلك لنفسك, لتأكل أنت منه, لا نحن.

وقوله: وَقال الظّالِمُونَ يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: إنْ تَتّبِعُونَ أيّها القوم, باتباعكم محمدا إلاّ رَجُلاً به سحر.

الآية : 9 - 10

القول في تأويل قوله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأمْثَالَ فَضَلّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * تَبَارَكَ الّذِيَ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذَلِكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَيَجْعَل لّكَ قُصُوراً }.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور, فضلّوا بذلك عن قصد السبيل وأخطئوا طريق الهُدَى والرشاد فلا يَسْتَطِيعُونَ يقول: فلا يجدون سَبِيلاً إلى الحقّ, إلاّ فيما بعثتك به, ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19928- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, عن سعيد بن جُبير, أو عكرمة, عن ابن عباس: انْظُرْ كَيْف ضَرَبُوا لَكَ الأمْثالَ فَضَلّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً أي التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به إليهم فضلوا, فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهُدَى في غيره. وقال آخرون في ذلك ما:

19929- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً قال: مَخْرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك.

وقوله: تَبارَكَ الّذِي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتَها الأنهَارُ يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنىّ ب«ذلك» التي في قوله: جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلكَ فقال بعضهم: معنى ذلك: خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد, هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا, فقال: جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ. ذكر من قال ذلك:

19930- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَبارَكَ الّذِي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ خيرا مما قالوا.

19931- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله: تَبارَكَ الّذِي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ قال: مما قالوا وتمنّوا لك, فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال آخرون: عُنِي بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش. ذكر من قال ذلك:

19932- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, فيما يرى الطبريّ, عن سعيد بن جُبر, أو عكرِمة, عن ابن عباس, قال: ثم قال: تَبَارَكَ الّذِي إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذَلِكَ من أن تمشيَ في الأسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس, جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيجْعَلْ لَكَ قُصُورا.

قال أبو جعفر: والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك أشبه بتأويل الآية, لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا يُلْقى إليه كنز, واستنكروا أن يمشي في الأسواق وهو لله رسول. فالذي هو أولى بوعد الله إياه أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما, لا مما كان منكرا عندهم. وعُنِي بقوله: جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ بساتين تجري في أصول أشجارها الأنهار. كما:

19933- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ قال: حوائط.

وقوله: وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورا يعني بالقصور: البيوت المبنية.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19934- حدثني محمد بن عمرو, قال: قال: أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَيجْعَلْ لَكَ قُصُورا قال: بيوتا مبنية مشيدة, كان ذلك في الدنيا. قال: كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورا مشيدة في الدنيا, كل هذا قالته قريش. وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قَصْرا.

19935- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يُعْطَ نبيّ قبلك ولا يعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى؟ فقال: «اجْمَعُوها لي في الآخِرَةِ» فأنزل الله في ذلك: تَبارَكَ الّذي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرا مِنْ ذلكَ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورا.

الآية : 11 - 12

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ كَذّبُواْ بِالسّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذّبَ بِالسّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُمْ مّن مّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيّظاً وَزَفِيراً}.

يقول تعالى ذكره: ما كذّب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحقّ, من أجل أنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق, ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالثواب والعقاب, تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة. وأَعْتَدْنا يقول: وأعددنا لمن كذّب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة, نارا تسّعر عليهم وتتقد. إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ يقول: إذا رأت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء المكذّبين أشخاصَهم من مكان بعيد, تغيظت عليهم وذلك أن تغلي وتفور. يقال: فلان تغيظ على فلان, وذلك إذ غضب عليه فَغَلَى صدره من الغضب عليه وتبين في كلامه. وزفيرا, وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا والتغيظ: لا يسمع؟ قيل: معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ, من التلهب والتوقد.

19936- حدثني محمود بن خداش, قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطيّ, قال: حدثنا أصبغ بن زيد الورّاق, عن خالد بن كثير, عن فُدَيك, عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَقُولُ عَليّ ما لَمْ أقُلْ فَلْيَتَبَوّأْ بينَ عَيْنَيْ جَهَنّمَ مَقْعَدا» قالوا: يا رسول الله, وهل لها من عين؟ قال: «أَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ اللهِ: إذَا رأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ؟»... الآية.

19937- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر في قوله: سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا وَزَفِيرا قال: أخبرني المنصور بن المعتمر, عن مجاهد, عن عبيد بن عمير, قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبيّ إلا خرّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه, فيقول: يا ربّ لا أسألك اليوم إلا نفسي.

19938- حدثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي, قال: حدثنا عُبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: «إن الرجل ليُجَرّ إلى النار, فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض, فيقول لها الرحمن ما لك؟ فتقول: إنه ليستجير مني فيقول: أرسلُوا عبدي وإن الرجل ليُجَرّ إلى النار, فيقول: يا ربّ ما كان هذا الظنّ بك فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعَني رحمتك قال: فيقول أرسلوا عبدي وإن الرجل ليجَرّ إلى النار فتشهق إليه النار شُهوق البغلة إلى الشعير وتَزفِر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف».

الآية : 13 - 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيّقاً مّقَرّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً * لاّ تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً}.

يقول تعالى ذكره: وإذا أُلقي هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا, قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُورا.

واختلف أهل التأويل في معنى الثّبور, فقال بعضهم: هو الوَيْل. ذكر من قال ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19939- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَادْعُوا ثُبُورا كَثِيرا يقول: وَيْلاً.

19940- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحِدَا يقول: لا تدعوا اليوم ويلاً واحدا, وادعوا ويلاً كثيرا.

وقال آخرون: الثبور الهلاك. ذكر من قال ذلك:

19941- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا واحِدا الثبور: الهلاك.

قال أبو جعفر: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء, يقال منه: ما ثَبَرك عن هذا الأمر؟ أي ما صرفك عنه. وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه, كما يقول القائل: واندامتاه, واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورا أي هَلَكة, ويقول: هو مصدر من ثُبِرَ الرجل: أي أهلك, ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزّبَعْرَي:

إذْ أُجارِي الشّيْطانَ فِي سَنَنِ الْغَيّ وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

وقوله: لا تَدْعُوا اليَوْمَ أيها المشركون ندما واحدا: أي مرّة واحدة, ولكن ادعوا ذلك كثيرا. وإنما قيل: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحِدا لأن الثبور مصدر, والمصادر لا تجمع, وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها, كما يقال: قعد قعودا طويلاً, وأكل أكلاً كثيرا.

19942- حدثنا محمد بن مرزوق, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا عليّ بن زيد, عن أنس بن مالك, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أوّلُ مَنْ يُكْسَى حُلّةً مِنَ النّارِ إبْلِيسُ, فَيَضَعُها عَلى حاجِبَيْهِ, وَيَسْحَبُها مِنْ خَلْفِهِ, وَذُرّيّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ, وَهُوَ يَقُولُ: يا ثُبُورَاه وَهُمْ يُنادُونَ: يا ثُبُورَهُمْ حتى يَقِفُوا عَلى النّارِ, وَهُوَ يَقُولُ: يا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنادُونَ: يا ثُبُورَهُمْ فَيُقالُ: لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورا وَاحدا وَادْعُوا ثُبُورا كَثِيرا».

الآية : 15 - 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنّةُ الْخُلْدِ الّتِي وَعِدَ الْمُتّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً * لّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىَ رَبّكَ وَعْداً مّسْئُولاً }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربّكم صفتها وصفة أهلها خير, أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد, الذي وَعَد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: كانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرا يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته وثواب تقواهم إياه ومصيرا لهم, يقول: ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: لَهُمْ فِيها ما يَشاءُونَ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وَعَدَهموها الله, ما يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين. خالِدِينَ فيها, يقول: لابثين فيها ماكثين أبدا, لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ يقول الله تبارك وتعالى: كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة, وعْدا وعدهُمُ الله على طاعتهم إياه في الدنيا ومسئلتهم إياه ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19943- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً قال: فسألوا الذي وعدَهُم وتنجزوه.

19944- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كانَ عَلى رَبّكَ وَعْدا مَسْئُولاً قال: سألوه إياه في الدنيا, طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم, إذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم, فكان ذلك وعدا مسئولاً, كما وقّت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين, وقّت ذلك على مسئلتهم. وقرأ: وَقَدّرَ فِيها أقْوَاتَها فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَوَاءً للسّائِلِينَ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: وَعْدا مَسْئُولاً إلى أنه معنيّ به وعدا واجبا, وذلك أن المسئول واجب, وإن لم يُسْأل كالدين, ويقول: ذلك نظير قول العرب: لأعطينك ألفا وعدا مسئولاً, بمعنى واجب لك فتسأله.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلّوا السّبِيلَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذّبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجنّ. كما:

19945- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فيقول: أأَنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عِبادي هَؤُلاءِ قال: عيسى وعُزيرٌ والملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, نحوه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه أبو جعفر القارىء وعبد الله بن كثير: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ بالياء جميعا, بمعنى: ويوم يحشرهم ربك, ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قرّاء الكوفيين: «نَحْشُرُهُمْ» بالنون, «فنقول». وكذلك قرأه نافع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: فَيَقُولُ أأَنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عبادِي هَؤُلاءِ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء؟ يقول: أنتم أزَلْتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم إلى الغيّ والضلالة حتى تاهوا وهلكوا, أم هم ضلوا السبيل؟ يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحقّ وسلكوا العَطَب.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَآءَهُمْ حَتَّىَ نَسُواْ الذّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً }.

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا وتبرئه مما أضاف إليك هؤلاء المشركون, ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم, أنت ولينا من دونهم, ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نَسُوا الذكر وكانوا قوما هَلْكي قد غلب عليهم الشقاء والخِذْلان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19946- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكِنّ مَتّعْتَهُمْ وآباءَهُمْ حتى نَسُوا الذّكْرَ وكانُوا قَوْما بُورا يقول: قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا, ولم تكن لهم أعمال صالحة.

19947- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وكانُوا قَوْما بُورا يقول: هلكى.

19948- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكانُوا قَوْما بُورا يقول: هَلْكَى.

19949- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الحسن: وكانُوا قَوْما بُورا قال: هم الذين لا خير فيهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

19950- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكانُوا قَوْما بُورا قال: يقول: ليس من الخير في شيء. البور: الذي ليس فيه من الخير شيء.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أنْ نَتّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياءٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: نَتّخِذَ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القَعقاع, فإنهما قرآه: «أنْ نُتّخَذَ» بضمّ النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيّنّاه في تأويله, من أن الملائكة وعيسى ومن عُبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم وليّ غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضمّ النون, فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يُعْبدوا من دون الله جلّ ثناؤه, كما أخبر الله عن عيسى أنه قال إذا قيل أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقَ ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِي بِهِ أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبّي وَرَبّكُمْ.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون, لعلل ثلاث: إحداهنّ إجماع من القرّاء عليها. والثانية: أن الله جلّ ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سَبَأ, فقال: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعا ثم يقولُ للملائكة أهؤلاءِ إياكُم كانُوا يَعْبُدون قالوا سُبْحَانك أنتَ وَلِيّنا من دُونِهِمْ, فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئلوا عن عبادة من عبدهم تبرّءُوا إلى الله من ولايتهم, فقالوا لربهم: أنت وليّنا من دونهم, فذلك يوضّح عن صحة قراءة من قرأ ذلك: ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أنْ نَتّخِذ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياء بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل «مِنْ» هذه التي تدخل في الجحد إلاّ في الأسماء, ولا تدخلها في الأخبار, لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل, وإنما يقولون: ما رأيت من أحد, وما عندي من رجل وقد دخلت هاهنا في الأولياء وهي في موضع الخبر, ولو لم تكن فيها «مِنْ», كان وجها حسنا. وأما البُور: فمصدر واحد, وجمع للبائر, يقال: أصبحت منازلهم بُورا: أي خالية لا شيء فيها, ومنه قولهم: بارت السّوق وبار الطعام: إذا خلا من الطّلاب والمشتري فلم يكن له طالب, فصار كالشيء الهالك ومنه قول ابن الزّبَعْرَى:

يا رَسُولَ المَلِيك إنّ لسانِيرَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

وقد قيل: إن بور: مصدر, كالعدل والزور والقطع, لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لأنها لم تكن لله, كما ذكرنا عن ابن عباس.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً وَمَن يَظْلِم مّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرّي من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذّبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم إلى عبادتهم بما تَقُولُونَ يعني بقولكم, يقول: كذّبوكم بكذبكم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19951- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعُزيزا والملائكة, يكذّبون المشركين.

19952- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ قال: عيسى وعُزير والملائكة, يكذّبون المشركين بقولهم.

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك, ما:

19953- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: كذّبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فوجه ابن زيد تأويل قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ إلى: فقد كذّبوكم أيها المؤمنون المكذّبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحقّ, وهو أن يكون خبرا عن الذين كذّبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعَوْهم إلى الضلالة وأمروهم بها, على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرنا عنه, أشبه وأولى لأنه في سياق الخبر عنهم. والقراءة في ذلك عندنا: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ بالتّاء, على التأويل الذي ذكرناه, لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وقد حُكي عن بعضهم أنه قرأه: «فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ» بالياء, بمعنى: فقد كذّبوكم بقولهم.

وقوله جلّ ثناؤه: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم, ولا نَصْرَها من الله حين عذّبها وعاقبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19954- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: المشركون لا يستطيعونه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرفا وَلا نَصْرا قال: المشركون.

قال ابن جُرَيج: لا يستطيعون صرف العذاب عنهم, ولا نصر أنفسهم.

19955- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كُذّبوا, ولا أن ينتصروا. قال: وينادي منادٍ يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون؟ قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده, وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله, فقال الله تبارك وتعالى: بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وقرأ قول الله جلّ ثناؤه: فإنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ.

ورُوي عن ابن مسعود في ذلك ما:

19956- حدثنا به أحمد بن يونس, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: هي في حرف عبد الله بن مسعود: «فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفا».

فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة, صحّ التأويل الذي تأوّله ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ, ويصير قوله: فَقَدْ كَذّبُوكُمْ خبرا عن المشركين أنهم كذّبوا المؤمنين, ويكون تأويل قوله حينئذٍ: فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحقّ الذي هداك الله له, ولا نصر أنفسهم, مما بهم من البلاء الذي همّ فيه, بتكذيبهم إياك.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ أيها المؤمنون يعني بقوله: وَمَنْ يَظْلِمْ ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا, كالذي ذكرنا أن نذيقه الذين كذّبوا بالساعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19957- حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ قال: يُشْرك نُذِقْهُ عَذَابا كَبِيرا.

19958- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ قال: هو الشرك.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبّكَ بَصِيراً}.

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ما لِهَذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعَامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ وجواب لهم عنه, يقول لهم جلّ ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق, من أكلك الطعام ومشيك في الأسواق, وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي, فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فإن قال قائل: فإن «مَنْ» ليست في التلاوة, فكيف قلت معنى الكلام: إلاّ مَنْ إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك معناه: أن الهاء والميم في قوله: «إنهم», كناية أسماء لم تُذكر, ولا بدّ لها من أن تعود على من كُنِي عنه بها, وإنما ترك ذكر «مَنْ» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: مِنَ المُرْسَلِينَ عليه, كما اكتفي في قوله: وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ من إظهار «مَنْ», ولا شكّ أن معنى ذلك: وما منا إلاّ من له مقام معلوم, كما قيل: وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها ومعناه: وإن منكم إلاّ من هو واردها فقوله: إنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعامَ صلة ل «مَن» المتروك, كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلاّ مَنْ إنه ليبلغك الرسالة, فإنه «ليبلغك الرسالة» صلة لـ «مَنْ».

وقوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض, جعلنا هذا نبيّا وخصصناه بالرسالة, وهذا مِلِكا وخصصناه بالدنيا, وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا, لنختبر الفقير بصبره على ما حُرِم مما أعطيه الغنيّ, والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة, وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى وقُسِم له, وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول: فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا, وجعلته يطلب المعاش في الأسواق, ولأبتليكم أيها الناس, وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه, بغير عَرَض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه لأني لو أعطيته الدنيا, لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها.

وبنحو الذي قلنا تأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19959- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: ثني عبد القدوس, عن الحسن, في قوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً... الآية, يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان, ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيّا مثل فلان, ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان.

19960- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, في قوله: وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أتَصْبرُونَ قال: يُمْسك عن هذا ويُوَسّع على هذا, فيقول: لم يعطني مثل ما أعطى فلانا, ويُبْتَلَى بالوجع كذلك, فيقول: لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء, ليعلم من يصبر ممن يجزع.

19961- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, فيما يروي الطبري, عن عكرمة, أو عن سعيد, عن ابن عباس, قال: وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ما لِهَذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ... الآية: وَما أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إلاّ إنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعامَ ويَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أتَصْبِرُونَ أي جعلت بعضكم لبعض بلاء, لتصبروا على ما تسمعون منهم, وترون من خلافهم, وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت, ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم.

وقوله: وكانَ رَبّكَ بَصِيرا يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتُحِن به من المحن. كما:

19962- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج: وكانَ رَبّكَ بَصِيرا إن ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر.

This file was downloaded from QuranicThought.com